ستة مبشرون بالجنة

الطبعة الأولى

١٤٣٣-٢٠١٢

حقوق الطبع محفوظة

من أعلام الصحابة

ستة مبشرون بالجنة

إبراهيم النعمة

مقدمة

نحمدك اللهم ونستهديك، ونستعين بك ونتوكل عليك، ونصلي ونسلم صلاة طيبة زاكية مباركة على من ختمتَ به الشرائع وأرسلتَه رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين، وصحبه المخلصين الذين اصطفيتهم من خلقك، وائتمنتهم على تبليغ شرعك الشريف إلى الناس كافة، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وآته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته؛ إنك لا تخلف الميعاد!.

أما بعد:

فإن الحديث يطيب في صحابة النبيﷺ، اولئك الذين أثنى الله عليهم الثناء الحسن في القرآن الكريم، فأنزل آيات كثيرة في مدحهم تتلى آناء الليل وأطراف النهار، وأثنى عليهم النبي ﷺ، ومدحهم بأحاديثه الصحيحة التي تنص على المكانة العليا التي تبوأها كل واحد منهم؛ فقال تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة التوبة.

وقال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ سورة البقرة.

وقال:

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ سورة آل عمران.

وقال:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الفتح.

وقال:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ سورة آل عمران/ ١١٠.

وقال:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الفتح.

وقال:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ سورة الحشر.

ولم تكن هذه الآيات وحدها التي وردت في فضل الصحابة، بل هناك الكثير من الآيات التي أثنى الله فيها في القرآن من فوق سبع سمواته عليهم.

أما النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فقد وصف قرن الصحابة بأنه خير القرون فقال:

«**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...**»[1].

وقال:

«**لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما**

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبيﷺ (باب: فضل أصحاب النبي ﷺ) حديث ٢٦٥٠، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم) حديث ٢٥٣٥، وغيرهما.

دام فيكم من رآني وصاحَبَ من صاحبني»[1].

وقال في أهل بدر:

«لعلَّ الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم»[2].

وقال فيمن بايع تحت الشجرة:

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[3].

ونهى النبيﷺعن الإساءة إلى ألصحابة فقال:

«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في (الكتاب المصنف) ٦/ ٤٠٨، حديث ٣٢٤٠٧، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة الفتح) وغيره من الأبواب، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، حديث ٢٤٩٤، وغيرهما.

(٣) رواه أبو داؤد في كتاب السنة (باب: في الخلفاء)، حديث ٤٦٤٠، والترمذي في كتاب المناقب (باب: فضل من بايع تحت الشجرة، حديث ٣٨٦٩، وأخرجه مسلم بلفظ آخر في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل أصحاب الشجرة) ٤/ ١٩٤٢، ورواه غيرهم.

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ حديث، ٣٦٧٣، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: تحريم سب الصحابة)، حديث ٢٥٤١، وقد رواه أيضا أبو داؤد والترمذي وابن ماجه..

وقال:

«الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبَّهم، ومن أبغضهم، فببغضي أبغَضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله، فيوشك أن يأخذه»[1].

لقد جاء هذا الثناء والمدح من الله تعالى ومن رسوله ﷺ؛ لأن الله تعالى؛ علم معدن الصحابة وما كانوا يتحلون به من مكارم السجايا ونبيل الصفات من الإخلاص لدين الله، والصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والغيرة، والكرم، والشجاعة، والثبات، والجهاد والتضحية بالنفس والمال والولد، فوق ما كانوا يحملونه من رجاحة عقولهم وفصاحة السنتهم.... فهم الذين أرسوا قواعد هذا الدين بدعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلهم أموالهم لنشر دين الله، وجهادهم في سبيل الله، وهم الذين ادخلوا هذا الدين في بلادنا وفي غيرها من البلاد...

والصحابة عدهم كثير، ولم يدوِّن لنا كتَّاب السير سوى ما يقرب من عُشر

---

(١) رواه الإمام أحمد برقم ٢٠٤٥٦. المسند ١٥/ ٢٥٣ بتحقيق: حمزة أحمد الزين، والترمذي في كتاب المناقب (باب: فيمن سب أصحاب النبيﷺ) حديث ٣٨٦٢، وابن حبان في (باب: فضل الصحابة والتابعين) حديث ٧٢١٢، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/ ١٨٩ بتحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الثانية ١٤١٧-١٩٩٦، دار الكتب العلمية، بيروت، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٨٧، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

أعدادهم أو أقلّ من ذلك، وقد قام ابن حجر العسقلاني بتدوين ترجماتهم مع من اختلف في صحبتهم، فبلغ عددهم من الرجال والنساء ١٢٢٩٧ نفسا. وتعد سيرة الصحابة جانبا مهما من جوانب سيرة النبي ﷺ؛ ذلك لأن النبي قام بنشر دعوة الله بأصحابه. وينصُّ الصحابي المبشر بالجنة سعيد بن زيد على أن فضل صحبة النبيﷺ لا يعدلها شيء فقال:

(والله لمشهد شهده رجل يُغبِّر فيه وجهه مع رسول الله ﷺ، أفضل من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح عليه السلام)[1].

وأول الصحابة الذين يحسن أن نقرأ سيرتهم: العشرة المبشرون بالجنة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم. وسمي هؤلاء بهذا الاسم مع أن عددا من غيرهم بُشِّر بالجنة أيضا لنص النبي ﷺ عليهم في حديث واحد فقال:

«**أبو بَكْر** في **الجَنة وَعمَر** في **الجَنة وَعثْمَانُ** في **الجَنة وَعَلي** في **الجَنة وَطلْحَةُ** في **الجَنة وَالزبَير** في **الجَنة وَعَبد الرحمن بن عَوف** في **الجَنة وَسَعد** في **الجَنة وَسَعيد** في **الجَنة وأبو عَبيدَةَ بن الجَراح** في **الجنة** »[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد برقم ١٩٢٦، المسند ٢/ ٢٨٩.

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب: (باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله)، حديث ٣٧٤٧ ص٨٥١.

ولقد كنت اصدرت كتابي المتواضع (في صحبة الخلفاء الراشدين) تحدثت فيه في سيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، وكيف توجهت الخلافة لكل واحد منهم، وأردت أن اتمم الكتابة في سيرة من بقي من العشرة المبشرة بالجنة فكتبت ملخص سيرتهم وهم ١- الزبير بن العوام ٢- طلحة بن عبيد الله ٣- سعد بن أبي وقاص ٤- أبو عبيدة عامر بن الجراح ٥- عبد الرحمن بن عوف ٦- سعيد ابن زيد.

وقد نظم ابن حجر العسقلاني عددا من الأبيات في الصحابة والعشرةُ المبشرةُ بالجنة منهم، ونصَّ على أسماء الستة سوى الخلفاء الراشدين فقال:

وجوه اصحابه كالدر مشرقة ... إذا رأيت امرءاً عن هديهم صدفا
نالوا السيادة في دنيا وآخرة ... والسبقَ والفضلَ والتقديمَ والشرفا
وبالرضا خُصَّ منهم عشرة زهر ... يا ويح من في موالاة لهم وقفا
سعد سعيد زبير طلحة وأبو ... عبيدةٍ وابن عوف قبله الخلفا
لا تسألن القوافي عن مآثرهم ... إن شئت فاستنطق القرآن والصحفا

ولله درُّ القائل في فضل الصحابة:

الصحب إن نطقوا أصغى الزمان لهم ... والصحب إن أقدموا فالمجد ينتظر
يفنى الزمان وهم باقون ما بقيت ... تتلى بمصحفها الآيات والسور
قادوا الحنيفة نحو المجد قاهرة ... أدنى مواطنها الآمال والظفر
الله أكبر ما أهدت قريش لنا ... والله أكبر ماذا أنجبت مضر

هـــم الصـــحابة في العليـــاء معجـــزة ينشق مـن صـحبها في ليلـه القمـر
نبـــوةٌ رحمـــة الصـــديق مظهرهـــا في العـــالمين ومـــن ميراثهـــا عمـــر
مجد الصحابة في العلياء قد نطقـــت ما قصّرت عنه في أصدافها الـــدرر

وبعد:

فإن سيرة الصحابة ينبغي أن تكون قدوة مثلى لجيلنا المعاصر ليعيش مع الرعيل الأول من صحابة النبي الذين ﷺ ورضوا عنه في أقوالهم وأفعالهم؛ ليغسل عن قلبه ما علق به من درن الغلوِّ في حب الدنيا، والغرق في ملذاتها وشهواتها. والله يقول الحق، ومنه الهداية والسداد.

إبراهيم النعمة

عضو رابطة الأدب الإسلامي

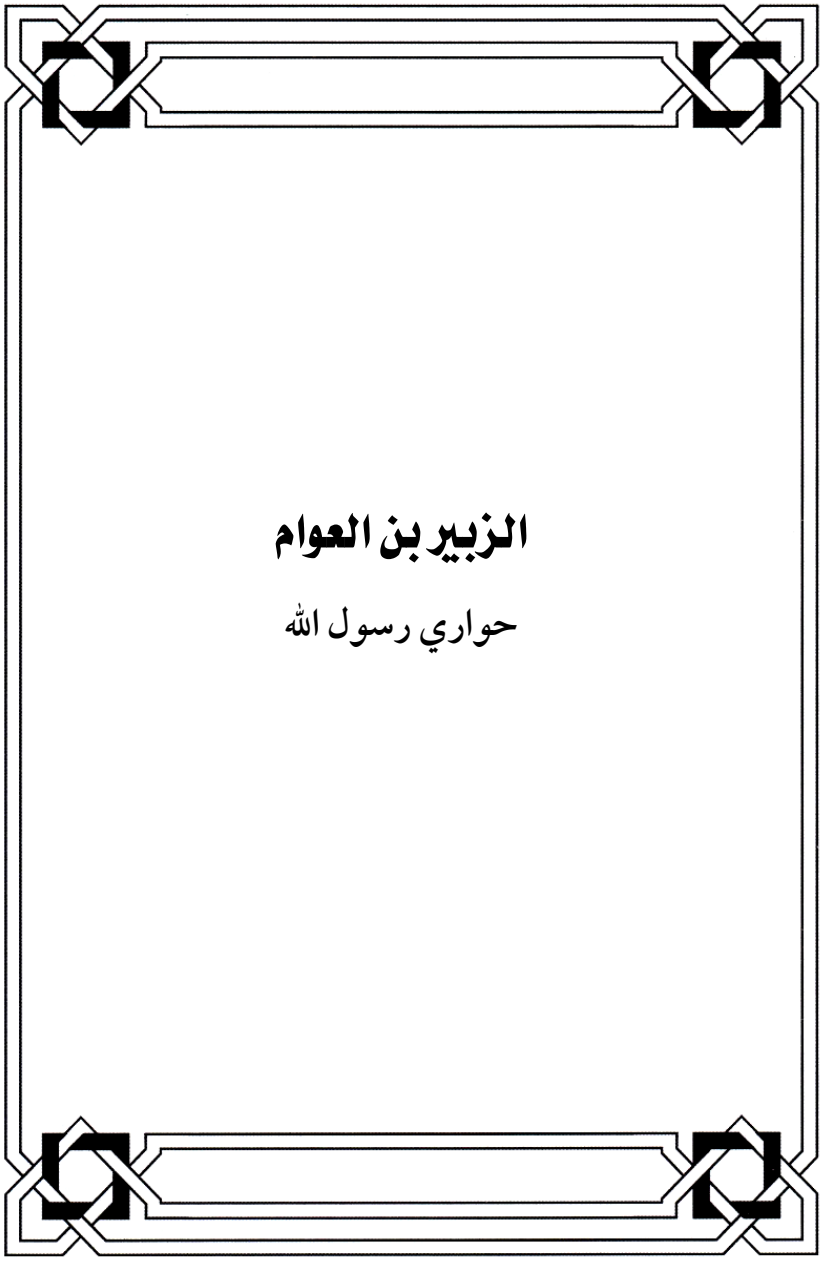

الزبير بن العوام

حواري رسول الله

الزبير بن العوام

حواري رسول الله

نحن الآن أمام فارس من فرسان الإسلام هو قدوة لكل الفرسان، عُرفت أسرته بعراقة النسب في الجاهلية والإسلام، وعرفته الغزوات مقبلا غير مدبر، ولم يقابله أحد من الفرسان في معركة من المعارك إلا فرّ من أمامه أو قُتل. وقد اجتمعت له المكرمات الرائعات من أطرافها، فهو حواري رسول اللهﷺ، وابن عمة النبي صفية بنت عبد المطلب -أخت حمزة بن عبد المطلب-، وعمته خديجة بنت خويلد زوج النبيﷺ، وهو واحد من الستة الشورى الذين انتدبهم أمير المؤمنين عمر بن الخطابرضي الله عنه ليختاروا من بينهم خليفة للمسلمين، وتوّج هذه الفضائل رسول اللهﷺ حين شهد له بالجنة..! أفبعد هذه المفاخر من مفاخر؟ أم بعد هذه الفضائل من فضائل؟! فمن هذا الذي اجتمع له هذا المجد المؤثّل؟

إنّه أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، حواري رسول اللهﷺ فقد قال فيه: «**لكل نبي حواري وحواريّ الزبير**»[1].

وقال فيه علي بن أبي طالبرضي الله عنه: أشجع الناس الزبير (يغضب غضب النمر،

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل طلحة والزبير) حديث ٦٢٤٣، ص١٠٦٥.

ويثب وثوب الأسد)[1].

وقال فيه عمر بن الخطابﷺ: (إنّ الزبير ركن من أركان الدين)[2].

وقال سفيان الثوري: (نجدة الصحابة: حمزة وعلي والزبير)[3].

إسلامه

أسلمﷺ في فجر الإسلام الأول، فكان اسلامه بعد إسلام أبي بكر الصديق بيوم أو أيام قليلة، وهو رابع أو خامس من دخل في الإسلام[4]، وكان عمره ست عشرة سنة[5].

لقد عاش الزبير في مجتمع مكة الذي عُرف بالخصومة واللدد، ووقفوا بوجه دعوة النبيﷺ محاربين لها، ولم يكتفوا بما كانوا عليه من عقيدة باطلة وكفر

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٨/ ٣٨٥ بتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروني، طبع سنة ١٤١٥-١٩٩٥، دار الفكر، بيروت.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٢ بتحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٩-٢٠٠٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٨٣ بتحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٣) صلاح الأمة في علو الهمة، جمع وترتيب الدكتور: سيد حسين العفاني ٤/ ٣٣٤، الطبعة الثامنة ١٤٣١-٢٠١٠، دار العفاني، القاهرة.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢/ ٢٠٩ بتحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة الثالثة ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار المعرفة، بيروت.

(٥) رواه الطبراني في معجمه الكبير ١/ ١٢٣ بتحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية ١٤٢٢-٢٠٠٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٧٩.

وشرك وضلال، بل صاروا يضطهدون كل من ينضوي تحت لواء الإسلام، ومن هؤلاء الذين نالهم التعذيب الشديد الذي قلّما يقدر عليه أحد: الزبير، فكان عمّه يبالغ في تعذيبه بغية صدّه عن الإسلام وعودته إلى الكفر: فكان يعلّقه في حصير ويدخن عليه النار ويطلب منه أن يعود إلى الكفر، فيرد عليه الزبير قائلا: لا أكفر أبدا[1].

حب الزبير للنبيﷺ

ويعيش الزبير مع النبي الكريم ويسعد بجلوسه معه، ويتعمق الإيمان في قلبه، فلا يُقدّم حبه لأحد على حبّه لله ولرسوله. فقد انغرس حب النبي في أعماق قلبه، وصدق فيه حديث النبيﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[2]. وكمثال على ذلك الحب الخالص: ما كان من أمر الزبير فقد سمع يوما وهو قائل في الظهيرة أنّ رسول اللهﷺ قتل! ويكاد يطيش عقله حين سمع النبأ، ويأخذ الزبير سيفه ويخرج لا يلوي على شيء! وكانت المفاجأة حين رأى النبي الكريم أمامه لم يُقتل ولم يتعرض له أحد بسوء، وقد كان هذا لونا من ألوان الحرب النفسية التي يقوم بها المشركون ليلحقوا الأذى النفسي بكل من يؤمن بالله واليوم الآخر. وينظر النبي إلى

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٧، وتاريخ مدينة دمشق ١٨/ ٣٤٤، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم الاصفهاني ١/ ١٢١ بتحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل ومسعد عبد الحميد السعدني، الطبعة الأولى ١٤٢٢-٢٠٠٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب: وجوب محبة رسول اللهﷺ) حديث ١٦٩، ص٤١.

الزبير، ويدرك ما أصابه فيسأله: «**ما شأنك يا زبير ؟**» فيجيبه: سمعت أنك قتلت! ويسأله النبي:«**فما كنت صانعا؟**» فيرد عليه قائلا: أردت –والله– أن أستعرض أهل مكة. ولمّا سمع النبيﷺ قوله دعا له بخير[1].

ونجد الزبير هنا يريد أن يقوم بحرب طاحنة لا تبقي ولا تذر، يقتل فيها كل من يقدر على قتله منهم؛ أخذا بثأر الرسولﷺ. وهذا مظهر من مظاهر حبّه للنبي الكريم الذي انغرس في أعماق فؤاده.

هجرة الزبير إلى الحبشة

وتمضي الأيام، ويزداد اضطهاد المشركين لصحابة النبيﷺ، ويخشى النبي الكريم عليهم وهو صاحب القلب الرحيم الذي وصفه ربّهﷻ بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فيشير عليهم بالهجرة إلى الحبشة؛ ليكونوا في جوار ملك لا يُظلم عنده أحد، وكان الزبير ممن هاجر إليها، وأقام مع إخوته المهاجرين في ظل الملك العادل، مطمئنين على أرواحهم وكرامتهم.

لقد تمتع المهاجرون بالأمن والأمان، ولكن حصل ما عكّر عليهم صفو حياتهم، حين قام رجل ينازع النجاشي الملك. وتطور الخلاف حتى وصل إلى الاقتتال، وهنا أصاب المهاجرين ما أصابهم من الحزن؛ إذ لو انتصر ذلك الرجل على النجاشي، فلربما تعيد قريش الكرّة على الرجل المنتصر ليسلّم المهاجرين؛ إذ

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ص٢٨٤ بتحقيق: أحمد فريد المزيدي، حديث ١٢٦٢، ص٢٨٤، الطبعة الأولى ١٤٢٩-٢٠٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

لا يعرف ذلك الرجل مكانة هؤلاء الصحابة كما يعرف النجاشي، فأحبّ الصحابة أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر على الجانب الآخر من النيل، ولكن أنّى لهم ذلك؟ تروي أم سلمة رضي الله عنها تلك الساعات الحرجة التي عايشها المهاجرون فتقول: (فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت -وكان من أحدث القوم سنا-. قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم. قالت فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده قالت فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن؛ إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه -أي حرّكه ليراه غيره فيجيء إليه- وهو يقول ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده)[1].

وبينا كان المهاجرون ينعمون بالأمن والراحة، ولم يعكّر عليهم صفو حياتهم غير بعدهم عن مكة، إذ أتاهم من يقول لهم: لقد تبدلت الحال غير الحال في مكة، وكفّت قريش عن الإساءة إلى المسلمين، ولم يبق أحد من المسلمين يُعذّب، وإنّ مكة قد أسلمت فكانت هذه بشرى أية بشرى؛ لذلك

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٧٦ بتحقيق: مصطفى السقا وجماعته، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

قفل قسم من المهاجرين عائدين إلى مكة حبيبة قلوبهم، وكان ممن عاد الزبير، ولكنّهم أُصيبوا بخيبة أمل مريرة لمّا دنوا من مكة؛ إذ تبين لهم أنّ ما بلغهم عن إسلام أهل مكة كان باطلا، فلا تزال قريش بظلمها وطغيانها وجبروتها توغل بتعذيب المسلمين المستضعفين، بل ازدادت في ذلك، فاضطر المهاجرون ألا يدخل أحد منهم إلا مستخفياً أو بجوار. وعاد الزبير إلى مكة ليلازم النبيﷺ، فيتلقى ما ينزل عليه من آيات، ويأخذ عنه مبادئ الإسلام.

ويمضي الزمان، ويزداد التضييق على المسلمين أكثر، فيأذن النبي لصحابته بالهجرة إلى المدينة ويدعوهم إليها، وكان الزبير من الثلة المؤمنة التي هاجرت؛ استجابة للنبي الكريم، ورفعا لراية الإسلام، وقد هاجر وحده، فنزل على المنذر ابن محمد بن عقبة.وعاش الزبير في المدينة جنديا مطيعا لرسول اللهﷺ. وبعد مدة من وصوله رُزق بغلام من زوجه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وكان سروره وسرور المسلمين عظيما بمولده؛ إذ كان أول مولود للمهاجرين في المدينة، وكان هذا المولود هو عبد الله الذي صار –فيما بعد– فارس الفرسان، شجاعة وبطولة وتضحية [ومن يشابه أبه فما ظلم].

في غزوة بدر

عُرف الزبير بشجاعته وفروسيته، فكان بطلا مغوارا وفارسا لا يُشق له غبار، إذا دعا النبيﷺ إلى الجهاد كان من أوائل من تراه في الصفوف الأولى، ولم يتخلف عن غزوة واحدة من غزوات النبيﷺ.

إنّ المعروف عن صحابة رسول اللهﷺ شجاعتهم الفائقة، وتضحياتهم النادرة، لأنهم يؤمنون بما أعد الله للمجاهدين من منزلة عالية ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. ومع ذلك، فهناك من كان يتميّز بشجاعته الخارقة، ومن هؤلاء الذين ضربوا في الشجاعة أعلاها، وفي التضحية غايتها، وجعل من ماله ونفسه وقفا لله: الزبير بن العوامرضي الله عنه. ففي يوم بدر كان الزبير عليه عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير[1]. وفي هذا يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جَدِّي ابنُ عمّةِ أحَمدٍ ووَزيرُهُ عند البَلاءِ وفارسُ الشَّقْرَاءِ
وغداةَ بَدْرٍ كان أوَّلَ فارسٍ شَهِد الوَغَى في اللَّأْمة الصَّفراءِ
نزلتْ بسِيماهُ الملائكُ نُصْرَةً بالحوضِ يومَ تألُّبِ الأعْداءِ

ولقد كان الزبير في شجاعته حكيما، ودقيق النظر في إصابة الهدف، وصاحب خبرة يعرف كيف يعالج الأمور الطارئة، وهذا مثال على ذلك:

روى هشام بن عروة عن أبيه (الزبير بن العوام) قال: قال الزبير:(لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج ، لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش[2]، فقال: أنا أبو ذات الكرش. فحملت عليه بالعنزة[3]،

---

(١) رواه الطبراني برقم ٢٣٠ ١/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ١/ ٤٦.

(٢) يطلق الكرش على كل مجتر، ويطلق على العيال والجماعة.

(٣) العنزة: كالحربة، وهي أطول من العصا وأقصر من الرمح، في أسفلها حديدة كحديدة الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير.

فطعنته في عينه فمات. قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت، فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. قال عروة: فسأله إياها رسول اللهﷺ فأعطاه إياها، فلما قبض رسول اللهﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل)[1].

يصوّر لنا هذا الحديث دقة الزبير في إصابة الهدف أولا، فقد كان خصمه عبيدة بن سعيد مدججا بالسلاح في جسمه كله إلا ما كان من عينيه؛ فاستطاع أن يصيب الهدف فيدخل العنزة في إحدى عينيه مع ضيق ذلك المكان. وصوّر لنا الحديث ثانيا: القوة الجسدية التي حبا الله بها الزبير؛ إذ كانت ضربته شديدة العمق في عينه، فلم يخرج العنزة منها حتى وضع رجله عليه ثم تمطى بها.

في غزوة احد

كانت الخسارة التي لحقت بالمشركين في غزوة بدر كبيرة كبيرة! وكيف لا تكون كذلك، وقد ارتكسَ كبرياؤها في الرغام، وشاع ذلك في قبائل العرب، فقتل منهم سبعون رجلاً وأُسرَ سبعون، فوق الجراحات التي اصابت كثيرا منهم.! وعادوا إلى مكة يجرون أذيال الخزي والعار والخيبة والهزيمة.! لقد كانت مرارة هزيمتهم وقتل كبرائهم طعنة نجلاء تُقطِّعُ قلوبهم ليل نهار،

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: ١٢) حديث ٣٩٩٨، ص٦٧٥.

وتتركهم يتقلبون على جمر الغضى؛ فقرروا أن يأخذوا بثأرهم. وسمع النبي ﷺ بخبر قدومهم، فخرج ومعه من معه من الصحابة وكان الزبير ممن خرج. ولما وصل النبي الى جبل أحد عسكر في أفضل مكان؛ فحمى ظهره وميمنته بارتفاع الجبل؛ وحمى ميسرته وظهره بخمسين من الرماة على الجبل المقابل لجبل أحد، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير –والد جابر بن عبد الله– وأوصاه أن ينضحَ الخيل عن المسلمين بالنبل، وأوصى الرماة أن لا يغادروا أماكنهم، حتى ولو دارت على المسلمين الدائرة. وهنا التقت جبهةُ الإيمان جبهةَ الكفرِ عند جبل يسمى (جبل أُحُد)، يقع بالطرف الشمالي من المدينة المنورة، وذلك في شوال من السنة الثالثة من الهجرة النبوية.

وبدأ القتال، وكان حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة، فخرج اليه علي بن أبي طالب فقتله، ثم حمل لواء المشركين بعده عثمان بن ابي طلحة، فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب فقتله، ثم حمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فقتله سعد بن أبي وقاص..! وهكذا بدأ القتال ثم اشتد وطيس المعركة بين صف المجاهدين المؤمنين، وصف الكفار والمشركين، وكانت الجولة الأولى في صالح المسلمين، فصار المشركون يتقلبون على جمر الغضى ثم لاذ كثير منهم بالفرار.! ونظر اربعون من الرماة إلى هذا النصر؛ فظنوا أن المعركة قد حسمت، فتنادوا ليصيبوا من الغنيمة. وقد ذكَّرهم عبد الله بن جبير بوصية النبي ﷺ لهم بألا يتركوا أماكنهم فلم يلتفتوا لقوله وغادروا الجبل. وانتهز خالد بن الوليد

الفرصة –وكان آنئذ مشركا– فانقضّ على من بقي على الجبل –وكانوا عشرة– فقتلهم جميعا، ثم انحدر من خلفهم يُعمل سيفه ومن معه بالمسلمين.! أما المشركون الذين فروا من المعركة، فلما رأوا ما فعله خالد ومن معه، عادوا إلى ارض المعركة، وواصلوا قتالهم ضدّ المسلمين، فانقلب نصر المسلمين إلى هزيمة، فقتل من الصحابة سبعون فوق من جرح منهم. أما النبي صلوات الله وسلامه عليه فقد أصابه ما أصابه من الأذى: فجرح وجهه، وشفته السفلى، وكسرت رباعيته، وأصيبت ر كبتاه لّما وقع في الحفرة التي حفرها له ابو عامر الفاسق.

وهنا جاء دور عدد من الصحابة الذين قاتلوا قتالا لم يشهد التاريخ مثله، وكان من هؤلاء الذين قاتلوا ببأس وشجاعة، وثبتوا ثبات الشم الراسيات بعزيمة لا تعرف الخوف ولا التراجع: الزبير بن العوام، وكيف لا يقاتل هذا القتال وقد بايع النبيﷺ على الموت، وكانت معه إحدى رايات المهاجرين؟! ورأى النبيﷺ رجلا يقتل المسلمين قتلا عنيفا فقال: (قم إليه يا زبير) فرقى إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه، فأقبلا يتحدران حتى وقعا على الأرض، ووقع الزبير على صدره فقتله...)[1]. وانجلت المعركة عن خسارة كبرى لحقت بالمسلمين ولكن ما إن انصرف المشركون من (أحد) حتى تلاوموا فيما بينهم، وندموا على رضائهم بهزيمة المسلمين الجزئية، وقالوا فيما قالوا: (لم

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٨/ ٣٥٩.

تصنعوا شيئا: أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم؛ فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم)[1].

هكذا قرر المشركون أن يُعيدوا الكرّة على المسلمين. ويسمع النبي الكريم ذلك، فندب المؤمنين الذين اشتركوا في غزوة أحد إلى ملاحقة المشركين، وعلى رأسهم (أبو بكر) و(الزبير) فخرجوا في آثار المشركين، وحين سمع المشركون بهذا ظنوا أن النبي يريد أن يثأر لقتلى المسلمين، فرجعوا إلى مكة خشية أن ينقلب نصرهم إلى هزيمة. وتنص السيدة عائشة رضي الله عنها على موقف أبي بكر والزبير في هذه الغزوة فتقول لابن اختها عروة بن الزبير:

(يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول اللهﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «**من يذهب في إثرهم**». فانتدب منهم سبعون رجلا ، قال كان فيهم أبو بكر والزبير)[2].

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فان ما قدمه الصحابة في هذه الغزوة هيهات أن نجد مثيلا له في تأريخ الامم، وهذان مثالان فقط من أمثلة كثيرة ترينا حقيقة الشجاعة والبطولة والتضحية التي كان عليها الصحابة ﷺ:

---

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٣/ ٢١٦ بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة ١٤٢٥-٢٠٠٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: [الذين استجابوا لله والرسول]) حديث ٤٠٧٧، ص٦٩٠.

لما ندب النبيﷺ الصحابة ممن اشترك في هذه الغزوة إلى ملاحقة المشركين، سمع اسيد بن حضير هذه الدعوة، وكان به سبع جراحات يريد أن يداويها فقال: (سمعاً وطاعة لله ولرسوله، وأخذ سلاحه ولم يعرِّج على دواء، ولحق برسول اللهﷺ... وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً: بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً، وبخراش بن الصمة عشر جراحات، حتى وافوا رسول اللهﷺ، فقال لمّا رآهم: «**اللهم ارحم بني سلمة**»)[1].

وقال رجل من بني عبد الاشهل:

(شهدت أُحُداً مع رسول اللهﷺ أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول اللهﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول اللهﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل؛ فخرجنا مع رسول اللهﷺ، وكنت أيسرَ جرحاً، فكان إذا غلب حملته عقبة-أي جعلته يركب- ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون)[2].

في غزوة الخندق

كانت الشجاعة التي يتمتع بها الزبير مضرب الأمثال، فما من موقف من المواقف الصعبة ينتدب فيها النبيﷺ واحداً من الصحابة ليقوم بها إلا كان

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي١/ ١٦٧، صححه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة١٩٤٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام٣/ ١١٣.

الزبير أول من يقول: أنا، فهو رجلُ المهمات الصعبة. روى الامام مسلم قال:

(ندب رسول اللهﷺ الناس يوم الخندق، فانتَدَبَ الزبير، ثم نَدَبهم فانتدب الزبير، ثم نَدَبهم فانتدب الزبير، فقال النبيﷺ: «**لكل نبي حواري وحواريَّ الزبير**»[1].

وفي هذا الحديث فضيلة من فضائل الزبير ومنقبة من مناقبه وتبيان لعظيم أمره، تقرؤه الأجيال على كرِّ الدهور وتتابع العصور، فقد كشف للنبي الكريم أسرار العدو. لقد كان الصحابة كلهم ينصرون رسول اللهﷺ ويحبونه من أعماق قلوبهم، أما نصرة الزبير هنا فلها لون خاص، وذلك لما فيها من أخطار لا يستطيع القيام بها إلا الأفذاذ من الأبطال. وبعد أن قام الزبير بمهمته نجد النبي الكريم فداه بأبيه وأمه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[2].

في غزوة اليرموك

بعد أن انتقل النبي ﷺ الى جوار ربه، ظل الزبير ذلك المجاهد في سبيل الله الى أن لقي ربه، وهذا مثال من أمثلة كثيرة على شجاعته في هذه الغزوة: روى عروة بن الزبير عن أبيه (أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك:

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل طلحة والزبير) حديث ٦٢٤٣، ص١٠٦٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة (باب: مناقب الزبير) حديث٣٧٢٠، ص٦٢٧، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل طلحة والزبير) حديث ٦٢٤٥، ص١٠٦٥.

ألا تشدُّ فنشدَّ معك؟ فقال: إني إنْ شددتُ كذبتم[1]، فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شقَّ صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضُرِبها يوم بدر. قال عروة: كنتُ أُدْخِلُ أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس ووكّلَ به رجلاً)[2].

وقال ابن كثير:

(خرج (الزبير) مع الناس الى الشام مجاهداً، فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أوّلهم إلى آخرهم)[3].

فتح حصن بابليون

كان عمرو بن العاص رضي الله عنه في جهاد دائم لفتح مصر، وقد استعصى عليه فتح (حصن بابليون)؛ اذ لم تكن قوات المسلمين بكافية، فكتب الى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب يطلب منه أن يمده بمدد من الرجال؛ فأرسل الزبير بن العوام في

---

(١) معنى (كذبتم): جبنتم وانصرفتم عن القتال وهربتم.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: قتل أبي جهل) حديث٣٩٧٥، ص٦٧١.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير٧/ ٢٤٠، وثّقه الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وضع حواشيه: د. أحمد أبو ملحم وجماعته، الطبعة الثالثة٢٠٠٩، دار الكتب العلمية، بيروت.

عشرة آلاف، وقيل اثني عشر ألفاً[1]. ومما قيل: إن عمر بن الخطاب ارسل أربعة آلاف رجل عليهم من الصحابة الكبار: الزبير والمقداد بن الاسود، وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني امددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال.

ولما وصل الزبير وجد عمراً محاصراً (حصن بابليون)، فركب حصانه، وطاف بالخندق المحيط بالحصن، وفرَّق الرجال حول الخندق. واستمر الحصار سبعة أشهر، ولما قيل للزبير: إن بها الطاعون قال: (إنما جئنا للطعن والطاعون)[2] وأبطأ فتح الحصن على المسلمين فقال الزبير: (إني أهب نفسي لله، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين، فوضع سلماً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمّام، ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبّر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلّم حتى نهاهم عمرو؛ خوفاً من أن ينكسر. فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فَتَحَ حصنُ بابليون أبوابه للمسلمين؛ فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر وكانت شجاعة الزبيرﷺ النادرة السبب

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص٢١٤، راجعه رضوان محمد رضوان١٤٠٣-١٩٨٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) فتوح البلدان ص٢١٥.

المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس)[1].

الزبير يسمي أولاده بأسماء الشهداء من الصحابة

كانﷺ شجاعاً يحب الشجاعة، وشديد الحب أن يلقى الله شهيداً. فلا عجب إذا علمنا أنه سمى اولاده بأسماء الشهداء من الصحابة. فقد روى هشام ابن عروة عن أبيه الزبير قال: (إن طلحة يسمي بنيه بأسماء الانبياء، وقد علم أنه لانبيّ بعد محمدﷺ، وإني أُسمِّي بنيَّ بأسماء الشهداء لعلهم يُستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص قتل باليرموك)[2].

قلة رواية الزبير لأحاديث النبيﷺ

لازم الزبير رسول اللهﷺ منذ أن أسلم ولم يفارقه، ولكنه لم يرو عنه إلا ثمانية وثلاثين حديثاً. وبينﷺ سبب قلة الاحاديث التي رواها عن النبيﷺ لما سأله ابنُه عبدُ الله قائلاً له: (ما لي لا أسمعك تحدث عن رسول اللهﷺ كما يحدث فلان وفلان؟ قال: أما إني لم أُفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعتُ رسول اللهﷺ يقول:

---

(١) صلاح الامة في علوّ الهمة، سيد حسين عفاني٤/ ٣٣٩ نقلاً عن كتاب قادة فتح الشام ومصر تأليف محمود شيت خطاب ص٢٠٩و٢٢٧.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي٢/ ٢٨٣. وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد٣/ ٩٤ بتحقيق: د.علي محمد عمر الطبعة الاولى١٤٢١-٢٠٠١، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة.

«**من كذب عليّ فليتبوأْ مقعده من النار**»)[1].

ولم يكن الزبير–وحده– من المقلين من رواية الحديث وهو الملازم لرسول اللهﷺ، فهناك الخلفاء الراشدون الاربعة وكثير من الصحابة الذين عاشوا مع النبي الكريم ولم يرووا عنه إلا قليلاً من الاحاديث؛ ذلك لأن الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة كانوا منشغلين بسياسة الامة وقضاء حاجات الناس، فوق انشغالهم بأمر الجهاد في سبيل الله. وكمثال على ذلك: طلحة بن عبيد الله، فانه لم يرو عن النبيﷺ سوى ثمان وثلاثين حديثاً، وروى أبو عبيدة عامر بن الجراح أربعة عشر حديثاً، وروى معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي سبعاً من الاحاديث، وروى عثمان بن مظعون أربعة أحاديث فقط وهكذا...[2].

شاعر النبي يمدح الزبير

كان حسان بن ثابترضي الله عنه شاعر النبيﷺ. ومرّ الزبير وحسان يُنشد من شعره، والناسُ غيرُ مكترثين بذلك؛ فساءه ما رأى ثم قال: مالي أراكم غير ناشطين لشعر ابن الفريعة، فلقد كان رسول اللهﷺ يحسن استماعه له ولا يشتغل عنه، وكان يجزل له الثواب، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبي وهديه حواريُّه والقولُ بالفعل يُعدل

---

(١) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد٣/ ٩٩.

(٢) لزيادة الاطلاع ينظر: أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم الظاهري، الطبعة الاولى١٤١٢-١٩٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

أقام على منهاجه وطريقهِ يوالي وليَّ الحقّ، والحقُّ أعدلُ
هو الفـارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يومٌ مُحَجَّلُ
إذا كشفت عن ساقها الحربُ حَشها بأبيضَ سبّاقٍ إلى الموت يُرْقِلُ
وإنَّ امرؤاً كانت صفيةُ أمَّهُ ومن أسدٌ في بيتها لمُؤتَّلُ
له من رسول الله قُربى قريبة ومن نصرة الإسلام مجد مؤثَّلُ
فكم كربة ذب الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى فيُجزل
فما مثله فيهم، ولا كان قبله وليس يكون الدهر مادام يذبل
ثناؤك خيرٌ من فعال معاشرٍ وفعلك يابن الهاشمية أفضل[1]

استشهاد الزبير

كان الزبيرﷺ يحرص على الشهادة في سبيل الله، فربما كانت بشارة رسول اللهﷺ له بالجنة لا تفارقه.وحدثت الفتنة في معركة الجمل، وكان لعبد الله بن سبأ وجماعته دور في هذا، وخرج الزبير يريد الإصلاح، ولكن الفتنة العمياء أطلت برأسها، فوقع القتال بين جماعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من جهة وجماعة طلحة والزبير من جهة أخرى، وفي الجولة الاولى من المعركة خرج الزبير منها معتزلا القتال، وكأنه أحس بدنو أجله، فأوصى ابنه عبد الله قائلا له:

(يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أُراني إلا سأقتل اليوم

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ص٣٣٩، وضعه وضبط الديوان وصححه: عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة السعادة، القاهرة.

مظلوما، وإن أكبر همي لديني... يا بني، إن عجزتَ عن شيء منه، فاستعن عليه مولاي. قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت مَنْ مولاك؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعتُ فى كربة من دَينه إلا قلتُ يا مولى الزبير اقض عنه دَينه فيقضيه..)[1].

وجاء الى الزبير رجل، وعرض عليه أن يقتل علياً بعد أن يندسّ في جيشه؛ فأنكر عليه الزبير بشدة قائلاً له: «إن الإيمان قيّد الفتك لا يفتك مؤمن»[2].

لقد ترك الزبير القتال بعد أن كلمه علي بلطف، ولعل الزبير شكَّ في صحة موقفه من هذه الفتنة؛ فقد خرج للإصلاح ليس إلا، ولّما حلّ السلاح محل الإصلاح رجع ولم يقاتل. وهناك أسباب أخرى ذكرها كتّاب السير وربما كان بعضها مع ما تقدم أسبابا لخروجه من القتال. وعلم عمرو بن جرموز بذلك فعزم على قتله، وقد لقيه في طريق عودته فقال له عمرو: إنّ لي إليك حاجة؛ فقال: أدنُ، فقال مولى الزبير –واسمه عطية–: إنّ معه سلاحا، فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة؛ فقال له الزبير: الصلاة. فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله[3]، وكان قتله يوم

---

(١) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس(باب: بركة الغازي في ماله حياً وميتاً...) حديث٣١٢٩، ص٥١٨.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ٤١، حديث ١٤٢٦ بتحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الثانية ١٤٢٠-١٩٩٩، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) حقيقة الخلاف بين الصحابة للدكتور علي محمد الصلابي ص١٢٧، الطبعة الأولى ١٤٢٩-٢٠٠٨، دار المعرفة، بيروت.

الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين.

لقد ظنّ ابن جرموز أنّه سينال حظوة عند علي، فلمّا علم علي بذلك قال: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**لكل نبي حواري وحواريّ الزبير**»[1]. ولمّا رأى عليّ سيف الزبير قال: إنّ هذا السيف طالما فرّج الكرب عن وجه رسول اللهﷺ[2].

وقال عليرضي الله عنه : (إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة الحجر: ٤٧ [3].

قضى الزبير حياته كلها حتى استشهد وما ولي إمارة قط ولا خراجاً، بل كان يتجر ويأخذ عطاءه[4]. ولمّا أراد عمر بن الخطابرضي الله عنه أن يوليه على مصر قال له الزبير: (لا حاجة لى فيها، ولكني أخرج مجاهدا، وللمسلمين معاونا: فإن وجدت عمرا قد فتحها لم أعرض لعمله، وقصدت إلى بعض السواحل فرابطت به، وإن وجدته في جهاد كنت معه؛ فسار على ذلك)[5].

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل طلحة والزبير) حديث ٦٢٤٣، ص١٠٦٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٤٠.

(٣) كتاب الطبقات الكبير لابن سعد٣/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٨٤.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٨٠.

(٥) فتوح البلدان للبلاذري ص٢١٤.

وقد رثته زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها بقصيدة قالت فيها:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
شلت يمينك أن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد
ثكلتك أمك هل ظفرت بمثله فيمن مضى فيما تروح وتغتدي
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا بن فقع القردد

رضي الله عنك يا حواري رسول الله؟

وسلام عليك يا من بشرك الله بالجنة.

أدعو الله أن يجمعنا بك في جنات النعيم..!!!

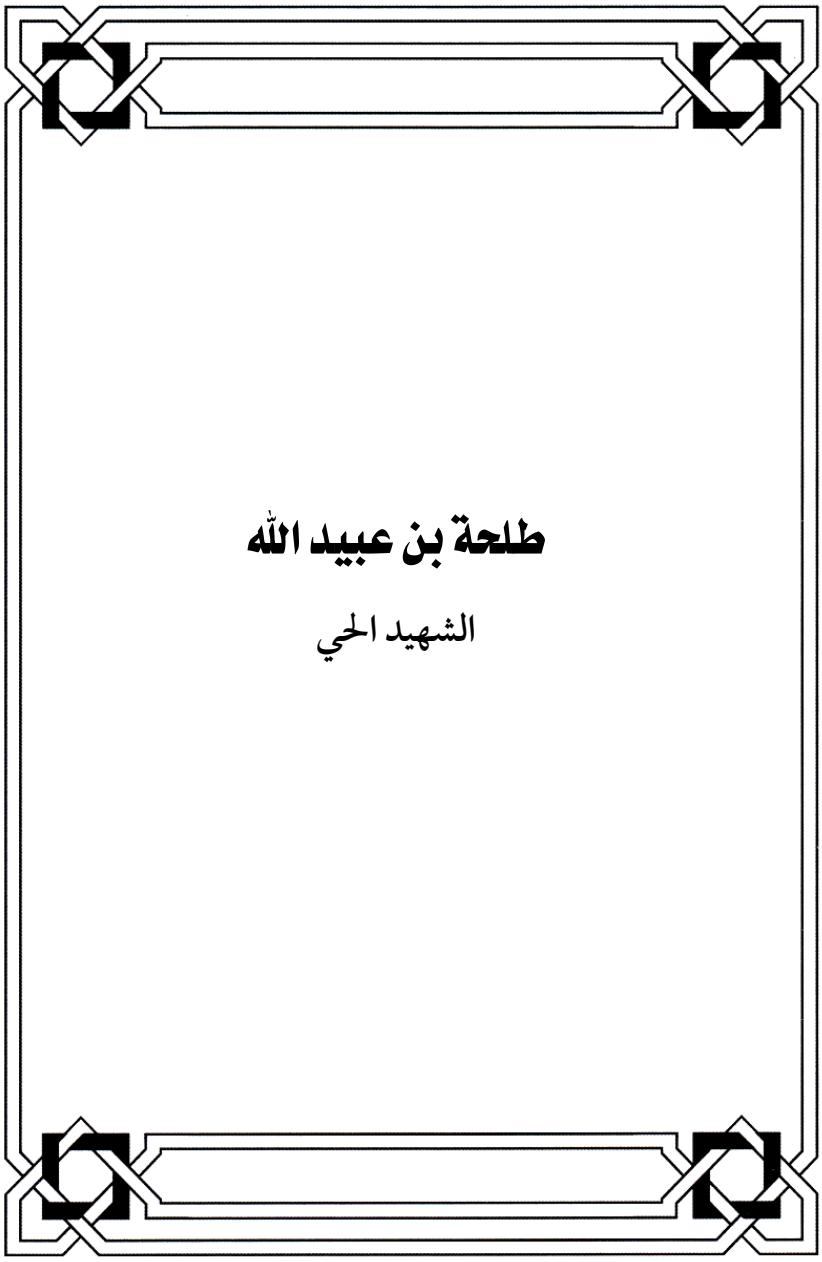

طلحة بن عبيد الله

الشهيد الحي

طلحة بن عبيد الله

الشهيد الحي

في تاريخنا رجال تتعطر الدنيا بذكرهم، وترِق القلوب بقراءةِ سيرتهم، علَّموا الدنيا كيف يكون الإخلاص لله ولرسوله، وكيف تكون التضحية في سبيل الدين الحق، تركوا زهرة الحياة ابتغاء مرضاة الله... ومن هؤلاء عملاق من عمالقة الإسلام أدهش الدنيا بجهاده وثباته في المواقف الصعبة التي تخور فيها عزائم الرجال، وانفاقه المال انفاق من لا يخشى الفقر، فوق تحليه بكل أدبٍ جم وخلقٍ رفيع، حتى صار محل إعجاب الناس حتى ممن يناصبونه العداء..!

إنه طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، فهو سيد من سادات المسلمين، وجواد من أفضل أجوادهم، كانت له اليد البيضاء في الفتوحات الإسلامية، وهو من السابقين في الإنضواء تحت لواء الإسلام وواحد من الثمانية الذين دخلوا في دين الله منذ فجره الأول، وأحد العشرةِ الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأحد الستة الشورى الذين انتخبهم عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن طعن ليختاروا خليفة للمسلمين منهم، وقد عرف بشجاعته وبسالته وتضحياته، كما عرف بالندى والجود والبذل والعطاء من ماله، حتى إن النبيﷺ سماه: طلحة الفياض، وطلحة الجود، وطلحة الخير، ولكل اسم من هذه الأسماء قصة تدل على بذله وسخائه. إنه الشهيد الحي، وقد فدى النبيَّ الكريم بنفسه في غزوة أحد، وفوق هذا وذاك، فكان ﷺ معروفا برجاحة العقل، وأصالة الرأي، وكان حكيما في سيرته: فلا يشاور جبانا في حرب، ولا بخيلا في صلة. إن من يحصل

على مكرمة واحدة من هذه المكرمات الرائعات يستحق المدح والثناء العاطر، فكيف بمن جمع هذه المكرمات من أطرافها؟!.

إن من يقرأ سيرة هذا الصحابي العطرة، يتبين له أنه بطل من أبطال هذا الدين، وفارس من أشجع الفرسان. وقد نشأ قبل بعثة النبيﷺ ببيت كريم، فأبوه يُعد من أشراف مكة، وأمه الصعبة بنت عبد الله الحضرمي هي أخت العلاء بن الحضرمي، وقد صارت فيما بعد من الصحابيات.

نشأ طلحة في طفولته وشبابه على فضائل الأخلاق، وتعلم الرماية بالسهم والإصابة بالرمح، وقد تزوج من حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ.[1].

عمله بالتجارة

عمل طلحة بالتجارة منذ مقتبل شبابه، وظل يعمل فيها، فكان بين ظعن وإقامة، وحلٍّ وترحال، وقد عرفته (بُصرى)[2] والشام بصدقهِ وسماحتهِ ومروءتهِ.

---

(١) من الموافقات أن طلحة تزوج أربعاً من النساء، أخت كل واحدة منهن عند النبيﷺ: أم كلثوم بنت أبي بكر أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنت أبي سفيان اخت أم حبيبة، ورقية بنت أمية أخت أم سلمة. ينظر: من أعلام الإسلام للدكتور محمد محمد أبو شهبة ص٣٢، جمع وإعداد الشيخ أحمد مصطفى فضلية، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، مكتبة السنة، القاهرة.

(٢) بُصرى: مدينة في بلاد الشام مشهورة بقصورها، وهي الآن من محافظة (حوران) في سورية.

إسلامه

كان أبو بكر الصديق أول من استجاب لدعوة النبيﷺ من الأحرار. ولم يكتف بدخوله في هذا الدين، بل صار داعية له هنا وهناك، فأسلم على يديه عدد من السابقين الأولين، ومنهم طلحة بن عبيد الله، ولكن كيف كان إسلامه؟

إن الله ﷻ إذا أراد شيئا هيأ أسبابه، وقد تهيأت الأسباب لدخول طلحة في هذا الدين. ولنترك طلحة بن عبيد الله ﷺ يروي لنا قصة إسلامه فيقول:

(حضرت سوق بصرى، فاذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل الموسم: أفيهم رجل من أهل الحرم؟ قلت: نعم أنا؛ فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخلٍ وحرةٍ[1] وسباخ[2] فإياك أن تسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلتُ: هل كان من حديث؟ قالوا: نعم. محمد بن عبد الله الأمين قد تنبأ، وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة، قال: فخرجت حتى قدمت على أبي بكر فقلت: اتبعتَ هذا الرجل قال: نعم. فانطلق اليه، فادخل عليه فاتبعه؛ فانه يدعو إلى الحق؛ فأخبره طلحة بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على

(١) هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.

(٢) سباخ: جمع سبخة، وهي أرض ذات نزّ وملح.

رسول الله فاسلم طلحة وأخبر رسول الله بما قال الراهب فسر بذلك..)[1].

هكذا دخل طلحة في دين الله. ولكن ما ان سمع قومه بإسلامه حتى بادروا محاولين أن يثنوه عن الإنضواء تحت لواء هذا الدين، لكن الإيمان العميق كان قد تغلغل في سويداء قلبه، فما من قوة تستطيع أن تصرفه عن الإسلام .

ما أصاب طلحة من الأذى وهجرته إلى المدينة

كان موقف قريش شديدا من كل من يؤمن بنبوة محمدﷺ فلم تجد المساومات معه نفعا فقامت باضطهاده وإلحاق الأذى به، على الرغم من مكانته المرموقة التي يتمتع بها بين قومه، وعلى الرغم أيضا من ذاك الثراء العريض الذي كان بحوزته. ولم يكتف المشركون بهذا، بل امتدّ الأذى حتى على عشيرته الأقربين. أما طلحة فلم يكن أمام ما يلاقيه إلا جبلا شامخا، فظل يتحمل أذى مكة وهو صابر محتسب. حتى إذا أذن الله لرسوله محمد ﷺ بالهجرة إلى المدينة لقيهما طلحة في الطريق وكان قادماً من الشام في عير له، فكسا رسول اللهﷺ وأبا بكرٍ بما أتى به من ثياب الشام، ثم مضى إلى مكة. وما أن قضى فيها حاجته حتى خرج بآل أبي بكر معه مهاجراً إلى المدينة، فهو من أوائل من هاجر، وقد آخى النبيﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري، وقيل بل بينه وبين كعب بن مالك الأنصاري.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٣١-٣٢.

في غزوة بدر

عُرِف طلحة بشجاعته وحسن تصرفه، فكان النبيﷺ يرسله في مهمات، ويقوم بها طلحة خير قيام. فلما علم النبيﷺ بقدوم عير لقريش بقيادة أبي سفيان أرسل طلحة وسعيد بن زيد يتحسسان أخبار العير ويأتيانه بالخبر. وخرج الرجلان، حتى إذا وصلا إلى (الحوراء) أقاما فيها حتى مرت العير؛ فعادا مسرعين إلى المدينة فوجدا رسول اللهﷺ قد خرج بالمسلمين إلى غزوة بدر، فأسرعا لينضما إلى جيش النبي الكريم، لكنهما لم يدركا المعركة، فقد كان وصولهما إلى المدينة في يوم المعركة، وقد أعطاهما النبيﷺ من الغنائم مثلما أعطى الصحابة الذين شهدوا الغزوة.

في غزوة أُحد

تحدثنا في ما مضى في غزوة أحد، وكيف انقلب نصر المسلمين الذي احرزوه في ابتداء القتال إلى هزيمة في نهايتها حتى إن المشركين وهم في زهو نصرهم اقتربوا من رسول اللهﷺ يريدون قتله، ولم يبقَ معه غير اثني عشر من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله، فقد أبلى بلاءاً حسنا لا مثيلَ له ضرباً بالسيف، ورميا بالنبل، ووقى النبيﷺ بنفسه، واتقى النبل بيده، فشلت اصبعه، وأصابه من التعب والإعياء، ويكفينا أن نعلم أنه صلوات الله وسلامه عليه أراد أن يصعد على الصخرة التي في الشعب من الجبل فلم يستطع بعد أن نزف الكثير من دمه الزكي، فما كان من طلحة إلا أن جلس تحته فنهض به حتى استوى قائماً. وينظر النبيﷺ إلى هذه الشجاعة وتلك الفدائية، فينصُّ على أن الجنة وجبت لطلحة

فيقول: «**أوجب طلحة**»[1].

وننظر في موقف من مواقفه بعد أن صعب الأمر في هذه الغزوة على النبيﷺ ومن معه، وقد أقدم المشركون نحو النبي يريدون قتله، وقد قتل من الصحابة المدافعين عنه من قتل، ولم يبق معه إلا طلحة بن عبيد الله. ولندع الإمام النسائي يروي لنا هذا الحديث عن جابر بن عبد الله ﷺ فيقول:

(لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار وفيهم طلحة بن عبيد الله، فأدركه المشركون؛ فالتفت رسول الله ﷺ فقال من للقوم؟ فقال طلحة: أنا. قال رسول الله ﷺ: «**كما أنت**» فقال: رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله فقال: «**أنت**». فقاتل حتى قتل، ثم التفت فإذا بالمشركين قال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا قال: «**كما أنت**» فقال رجل من الأنصار: أنا فقال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل، ثم لم يزل يقول ذلك، ويخرج إليهم رجل من الأنصار فيقاتل قتال من قبله حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله فقال رسول الله ﷺ: من للقوم؟ فقال طلحة: أنا فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى ضربت يده فقطعت أصابعه، فقال طلحة: حسِّ؛ فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون» ثم رد المشركين**)[2].

---

(١) رواه الترمذي في (باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله) حديث ٣٧٣٨ و١٦٩٢، ص٣٩٥ و٨٤٦.

(٢) سنن النسائي (باب: ما يقول من يطعنه العدو) حديث ٣١٤٩ ص٤٨٦.

وروى ابن سعد عن عائشة وأمِّ اسحق قالتا:

(جُرح أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقطع نساه- يعني العرق- وشلت أصبعه، وكان سائر الجراح في جسده، وغلبه الغشي، ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيته، مشجوج في وجهه، قد علاه الغشي وطلحة محتمله، يرجع به القهقرى، كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه، حتى أسنده إلى الشعب)[1].

ولقد كان أبو بكر الصديقﷺ معجبا أشدَّ الإعجاب بجهاد طلحة في هذه الغزوة، فكان إذا ذُكر يوم أحد يقول: ذلك يوم كان كله لطلحة.

ولقد قيل فيه :

وطلحة يوم الشعب آسى محمداً لدى ساعة ضاقت عليه وشدّتِ
وقاه بكفيه الرماح فقطِّعت أصابعه تحت الرماح فشلَّت
وكان إمامَ الناس بعد محمد أقرَّ رَحا الإسلام حتى استقرت

وقيل في طلحة أيضا:

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت لك الجنان وزوِّجت المها العينا[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٢، حقق هذا الجزء: حسين الأسد بإشراف شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤٢٩-٢٠٠٨، مؤسسة الرسالة-بيروت.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٥/ ١٠٦.

ولم يكن هذا هو الموقف البطولي الوحيد الذي وقفه طلحة، فهناك الكثير من المواقف البطولية التي أذهلت كُتاب السير، من ذلك: ما كان من أمر اليهود الذين اجتمعوا في دار سويلم اليهودي ليثبطوا الناس عن الخروج في غزوة تبوك، وعلم النبي بذلك فندب طلحة في نفر من أصحابه أن يحرقوا عليهم الدار، فامتثلوا أمر رسول الله وقضوا على الشر في أيامه الأولى.

إنفاقه المال في سبيل الله

وكما نجد شجاعة طلحة في صورة من أجمل صورها، نراها أيضا في إنفاقه المال، حتى صار مضرب الأمثال في الجود والسخاء والكرم والعطاء، وقد سمع سيدنا علي ابن ابي طالب ﷺ رجلا ينشد:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر

فقال ذلك ابو محمد طلحة بن عبيد الله.

وهذه مقتطفات من جوده وكرمه:

قالت سعدى بنت عوف المرية زوجة طلحة بن عبيد الله (دخلت على طلحة ذات يوم فقلت: ما لي أراك حزيناً أرابك شيء من أهلك فنعتب(أي نترضاك) قال: نعم حليلة المرء أنت؛ ولكن عندي مال قد أهمني أو غمني قالت: اقسمه؛ فدعا جاريته فقال: ادخلي عليَّ قومي، فأخذ يقسمه. فسألها (راوي الحديث) كم كان المال؟ فقالت: أربعمائة ألف)[1].

(١) الطبقات الكبرى لإبن سعد ٣/ ٢٠١ طبعة الخانجي.

والمتأمل في هذه الواقعة يرى البذل والسخاء قد وصل قمته لدى هذا الصحابي، حتى صار كثرة المال لديه حزنا عليه، ولم ينجل الغم والحزن عن نفسه إلا بعد أن قام بتفريقه بين قومه.! فأية منزلة في بذل المال وصل هذا الصحابي الجليل؟!

كما تدل هذه الواقعة على التربية العالية في البذل والسخاء التي تربت عليها الصحابيات، فهي تعين زوجها على الجود والندى.

وعن الحسن البصري (أن طلحة بن عبيد الله باع أرضا له من عثمان بن عفان بسبعمائة ألف، فحملها إليه، فلما جاء بها قال: إن رجلا تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله لغرير بالله! فأرسل رسله في سكك المدينة يوزعها حتى أسحر وما عنده منها درهم)[1].

تدل هذه الرواية على حقيقة اعتقادهﷺ باليوم الآخر، وأن الموت أقرب إلى الانسان من شراك نعله، فهو يخشى أن يموت وفي بيته هذا المال؛ لذلك ظل ساهرا الليل، ولم تغمض له عين حتى أنفق ذلك المال؛ لأنه كان يعتقد أن متاع الدنيا –مهما كثر– فهو قليل، وأن ما عند الله خير وأبقى.

وعن قبيصة بن جابر قال:

(ما رأيت أحدا أعطى لجزيل مال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله)[2]

---

(١) الطبقات الكبرى لإبن سعد ٣/ ٢٠١-٢٠٢ طبعة الخانجي.

(٢) الطبقات الكبرى لإبن سعد ٣/ ٢٠٢، طبعة الخانجي.

وهذا من أعلى مستويات البذل في سبيل الله. فهو لا ينتظر من الناس أن يسألوه ليعطيهم، بل كان يبادرهم بالعطاء من غير أن يسألوه، وقد كان بهذا مقتديا برسول اللهﷺ فكان يعطي الناس من غير أن يسألوه.

وقال الذهبي:

(أتى طلحة مال من حضرموت سبع مائة ألف، فبات ليلته يتململ فقالت له زوجته: مالك؟ قال: تفكرت منذ الليلة فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين انت عن بعض أخلائك، فإذا اصبحت فادع بجفان وقصاع فقسِّمه، فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان فقَسَّمها بين المهاجرين والأنصار فبعث إلى علي منها بجفنة فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم)[1].

(وجاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلاث مئة ألف، فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن؛ فأعطاه)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٠-٣١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٠.

فلا نعجب إذا علمنا ما حازه من ألقاب وأوصاف من رسول اللهﷺ، إذ سماه (طلحة الخير) و (طلحة الفياض) و (طلحة الجود)؛ وذلك لجوده وإسراعه في فعل الخير. وهذا أثر من آثار رسول اللهﷺ في تربيته لأصحابه، وينطبق عليه ما قاله بعض الشعراء يمتدح واحدا من الأجواد:

تعوَّد بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تجبه أنامله
تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله[1].

النبي ﷺ يبشر طلحة بالشهادة :

ما أسعد طلحة ومن معه حين وقفوا في (جبل حراء) والنبي الكريم واقف معهم وزفَّ لهم تلك البشارة التي رواها ابو هريرة رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله ﷺ «**اسكن حراء، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»، وعليه النبيﷺوأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم[2].

وتلقى طلحة نبأ الشهادة بفرح غامر، وظل اليوم بعد اليوم والشهر بعد

---

(١) عن كتابنا رقائق إيمانية ص١٦٥-١٦٧، الطبعة الأولى ١٤٣٣-٢٠١٢، مطبعة انوار دجلة بغداد.

(٢)رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضائل طلحة والزبير عنهما) حديث ٦١٩٨، صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٨٥، بتحقيق: الشيخ خليل محمد شيحا، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٩-٢٠٠٨، دار المعرفة بيروت. وقد ذكر سعد هنا في الشهداء لأنه مشهود له بالجنة.

الشهر والسنة بعد السنة في انتظار ما بَشّر به النبيﷺ، فما من غزوة من الغزوات أو سرية من السرايا أو مشهد من المشاهد إلا وطلحة في مقدمة المسلمين إلا ما كان من أمر غزوة بدر، فقد أرسله النبيﷺ ومعه سعيد بن زيد في مهمة استطلاع كما مرَّ بنا آنفا. وقد كرر النبيﷺ استشهاد طلحة في حديث آخر، يوم أبلى ذلك البلاء العظيم في غزوة أحد فقال:

«**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله.** »[1].

وفي هذا الحديث فضيلة من فضائل سيدنا طلحة، فقد أخبر النبي أن طلحة شهيد مع أنه لم يزل حياً في انتظار الشهادة.

ويدل على ما ذكرناه أيضا سؤال ذلك الأعرابي للرسول ﷺ عمن قضى نحبه من هو؟ فلما سأله الأعرابي أعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، يقول طلحة: ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خُضر، فلما رآني النبيﷺ قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه، قال الأعرابي: انا يا رسول الله. قال: هذا ممن قضى نحبه**»[2].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني حديث ١٢٦، ١/٢٤٨، ١٤١٥-١٩٩٥، مكتبة المعارف الرياض.

(٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: تعيينه ﷺ طلحة هو من قضى نحبه)، حديث ٣٧٤٢ ص ٨٥٠-٨٥١.

ومعنى (قضى نحبه) أي وفّى بعهده. وقد كان طلحة عاهد النبي ﷺ على الموت يوم أحد، وقد وفى بعهده، فلم يتراجع، ولم يقاتل المشركين أحد كما قاتل هو في هذه الغزوة.

طلحة بعد وفاة النبيﷺ

وبعد أن توفي النبيﷺ وجاء أبو بكر، ظل طلحة في نصرته للإسلام وجهاده في سبيل الله، فشارك في حروب الردة، وكان يساعد أبا بكر في إدارة شؤون المسلمين. ثمَّ جاء عمر وبعده عثمان، وهو ذلك الجندي المطيع فكان أخا لهم ووزير صدق. ولما جاء عليٌّ بايعه على الخلافة مع من بايعه.

طلحة من أهل الجنة

إن طلحة بن عبيد الله من أهل الجنة، بشهادة النبيﷺ بذلك. ويكفيه سعادة أنه والزبير جاران للنبيﷺ في الجنة فقد قال:

«**طلحة والزبير جاراي في الجنة**»[1].

وقال:

«**أبو بَكْرٍ في الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ في الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ في الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ في الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ في الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ في الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ بن أبي وقاص**

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله) حديث ٣٧٤٠ ص٨٥٠.

فِي الْجُنَّةِ، وَسَعِيدٌ بن زيد في الْجُنَّةِ، وأبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ في الْجُنَّةِ»[1].

كيف استشهد طلحة

في يوم الجمل اجتمع سيدنا علي بطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، ودار حديث بينهما، فقرر طلحة الإنسحاب من المعركة، فجاءه سهم أصاب ركبته، فأخذه مولى له وأدخله البصرة فمات هناك، وقيل: إنه قُتل في المعركة. ولما رآه عليٌّ بين القتلى مسح التراب عن وجهه وقال:

(عزيز عليَّ أبا محمد بأن أراك مجدّلا في الأودية تحت نجوم السماء)[2].

وقال:

(بشروا قاتل طلحة بالنار)[3].

وقال بعد أن مسح الغبار عن وجهه ولحيته وترحم عليه:

(ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة)[4].

لقد كان مقتل طلحة جريمة من أكبر الجرائم، حتى قال الإمام الذهبي:

(قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتل علي)[5].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله) حديث ٣٧٤٧ ص٨٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٧.

توفي طلحة في يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ستٍ وثلاثين من الهجرة، وعمره –إذ ذاك– إثنتان وستون سنة، وقيل: أربع وستون سنة. وبموته خسرت الأمة الإسلامية عظيما من أجلِّ عظمائها.

حفظ الله له بعد موته

وكما يحفظ الله عبده المؤمن في حياته فإنه يحفظه بعد مماته. وهذا ما حدث لسيدنا طلحة، فقد روى المثنى بن سعيد قال: (أتى رجل عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة حوليني من هذا المكان؛ فإن النزَّ قد آذاني. فركبت في حشمها، فضربوا عليه بناءاً واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة)[1].

وبعد

فإن سيرة طلحة في جهاده وانفاقه ونصرته للإسلام بكل ما يملك.. ينبغي أن تكون نبراساً لشبابنا؛ لعلهم يهتدون بهديها، ويقتدون بتلك الثلة المؤمنة التي مات النبي الكريم وهو راضٍ عنهم، وأثنى عليهم الله ﷻ في القرآن الكريم فقال تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة التوبة.

وقد أسيء الى هذا الصحابي إساءة بالغة في الفتنة العمياء التي اجتاحت

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٠.

العراق بعد احتلاله بقيادة امريكا، فقام ناس طائفيون بتفجير مرقده الشريف!.

وكأن الله عز وجل أراد أن يكون الأجر موصولا له حتى بعد مماته.

اللهم اجمعنا بصحابة نبيك في الجنة!.

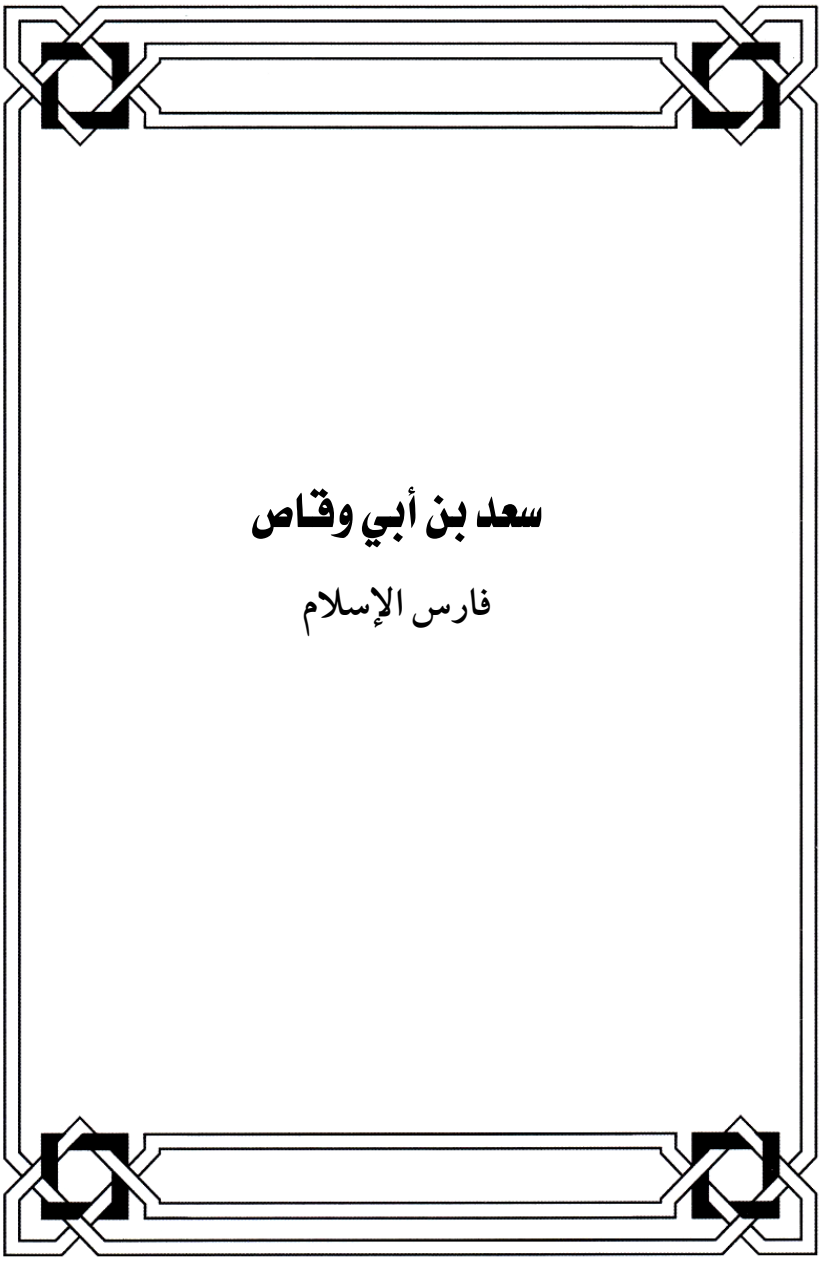

سعد بن أبي وقاص

فارس الإسلام

سعد بن أبي وقاص

فارس الإسلام

يسعد المسلم السعادة المثلى حين يعيش مع سيرة صحابة النبي ﷺ، ذلك الجيل الذي لم يعرف التاريخ له نظيراً، وكيف لا يكون (ذلك الجيل) كذلك، وقد ربى النبيﷺ صحابته على عينه، وغرس في قلوبهم الإيمان، وحلاهم بمكارم الإخلاق؟! وتزداد سعادة المسلم أكثر حين يكون العيش مع السابقين منهم، اولئك الذين ينبغي على كل مسلم في هذا الوجود أن يعتز بهم مدى الدهر، لأنهم هم الذين أوصلوا الإسلام لنا، ولولاهم لما كنّا اليوم مسلمين، ومن هؤلاء الصحابة الذين ينبغي أن نفخر بهم ونتفاخر: سعد بن أبي وقاص ﷺ، فمن سعد هذا؟

هو أبو اسحق سعد بن أبي وقاص، وأبو وقاص كنية ابيه، فهو سعد بن مالك بن أُهيب –ويقال وهيب– بن عبد مناف القرشي الزهري، أحد السابقين إلى الإنضواء تحت لواء الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول اللهﷺ، وهو فارس الإسلام، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأول من أراق دما في سبيل الله، وهو واحد من الستة الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ﷺ –وهو على فراش الموت بعد أن طعن من المجوسي أبي لؤلؤة فيروز – ليختاروا من بينهم خليفة للمسلمين، وكانت له صولات وجولات في حروب القادسية، وفتح المدائن، وإطفاء نار المجوس، وكان –مع هذا – على جانب كبير من التواضع والصدق والزهد والورع

والشجاعة والشهامة وحب النبيﷺ واتباع سنته، وكان مجاب الدعوة بفضل دعاء النبيﷺله، وهو -قبل ذلك وبعده- خال رسول اللهﷺ، وكان يفخر به النبي الكريم، وقد تحلى بصفات قيادية عالية، وكان له جهاده المميز في غزوات (بدر) و (أحد) و(الخندق) و(فتح مكة) و (حنين) وكان صلوات الله وسلامه عليه يستشيره، وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده.

إسلامه

ولد سعد بن أبي وقاص ﷺ في مكة قبل أن يكرم الله نبيه محمدا ﷺ بالرسالة بسبع عشرة سنة. وأسلم وعمره سبع عشرة سنة، وكان ذلك في الأيام الأولى من السنة الأولى لبعثة النبيﷺ، ويذكر أنه ثالث من دخل في الإسلام ولم يدخل قبله إلا اثنان فيقول: (لقد رأيتُني وأنا ثلث الإسلام)[1]. وكان إسلامه على يد (أبي بكر الصديق) ﷺ فجاء إلى النبي الكريم وأعلن شهادة الحق أمامه فأسلم، وكانت سابقته في الإسلام سببا من أسباب إلمامه بفهم هذا الدين: عقيدة وشريعة وأخلاقا...، فكان يتلقى السور القرآنية والآيات الكريمة من الرسول ﷺ مباشرة، ويوم أسلم لم تكن الصلوات الخمس قد فرضت على المسلمين بعد، بل كان فرض الصلاة في أيام الإسلام الأولى ركعتين في الصباح وركعتين في المساء، وظل المسلمون يؤدون هذه الصلاة حتى فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبيﷺ (باب: مناقب سعد بن أبي وقاص حديث ٣٧٢٦، ص٩٤٤، طبعة دار المعرفة.

الفقر الذي أصاب المسلمين في مكة

أصاب المسلمين في مكة فقر مدقع، وقد عانوا من الشدة والمشقة، وتحملوا ذلك صابرين محتسبين، ولم يتنازلوا عن عقيدة التوحيد، على الرغم من المغريات التي عرضت عليهم، بل ظلوا ثابتين ثبات الشم الراسيات على هذا الدين، فلم يغيروا ولم يبدلوا، وكان سعد واحدا ممن أصابته الشدة والجهد والجوع، ويوضح لنا حقيقة هذه الحياة القاسية القاحلة فيقول: (رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مع النبي ﷺ، ما لنا طَعَامٌ إلا وَرَقُ الْحُبْلَةِ، أو الْحَبَلَةِ، حتى يَضَعَ أَحَدُنَا ما تَضَعُ الشَّاةُ...)[1].

وورق الحبلة: ورق صحراوي له شوك، وأوراقه صغيره، وكانت فضلات الطعام تخرج منهم جافة يابسة كما تضع الشاة البعر.

وهناك أمثلة كثيرة على ما لاقاه الصحابة من الجوع، ولنذكر ما قاله سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

(كنا قوما يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك، ومرنا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة، خرجت من الليل أبول وإذا أنا أسمع بقعقعة شيءٍ تحت بولي فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها، فوضعتها بين حجرين، ثم استفَّها

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة (باب: ما كان النبي وأصحابه يأكلون) حديث ٥٤١٢ ص١٣٨٥.

وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثا)[1].

هذا لون من ألوان ما أصاب الصحابة في فجر الإسلام بمكة، وهو يغني عن أي تعليق كان.

ولم يكن الجوع الذي أصاب المسلمين في العهد المكي وحده، بل أصابهم أيضا في العهد المدني في غزوات النبيﷺ وسراياه. روى الإمام مسلم عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مع رسول اللهِ ﷺ، ما لنا طَعَامٌ إلا وَرَقُ الشَّجَرِ، حتى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بن مَالِكٍ(أي سعد بن أبي وقاص)، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفها...)[2].

اراق سعد أول دم في الإسلام

كان المسلمون الأوائل مع النبي ﷺ يستخفون في عبادتهم لله، خوفا من بطش المشركين، وينقل ابن هشام عن أبي اسحق فيقول:

(كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ في شعاب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون، حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٩٣، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق حديث ٢٩٦٧، ٤/ ٢٢٧٩.

وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجَّه فكان أول دم هريق في الإسلام)[1].

بين سعد وأمه

هناك الكثير من المواقف الإيمانية التي وقفها سعد بن أبي وقاص منذ أن أسلم إلى أن لقي الله تعالى. ومن تلك المواقف: موقفه من أمه التي امتنعت عن الطعام والشراب وهددت أنها ستظل كذلك إلى ان تموت إن لم يرجع سعد عن الإسلام. وكان هذا وسيلة من وسائل الضغط عليه بغية أن يترك دينه الجديد. لقد كان سعد بارا بأمه، لكن عقيدة التوحيد لا يُقدَّم عليها شيء أبدا لقد كان الإيمان العميق قد تمكن في قلب سعد، فلم يلتفت إلى ذلك التهديد، لقد كانت أمه معادية للإسلام، كارهة لرسول الله ﷺ وقد فاجأها خبر إسلام ثلاثة من أبنائها وهم سعد وعامر وعمير، ونزلت آيات كريمة تتحدث عن موقف سعد المؤمن من أمه الكافرة، فعن أبي عثمان النهدي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

(نزلت هذه الآية فيَّ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ . قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه. قلت: لا تفعلي يا أمه،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٩٤ قراءة وضبط وشرح د. محمد نبيل طريفي، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار صادر بيروت.

فإني لا أدع ديني هذا لشيء. قال: فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب. قال: وأصبحت قد جهدت، قال: فمكثت يوماً آخر وليلةً لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها. قال: فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه، لو كانت لك مائة نفسٍ، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، فنزلت هذه الآية﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾)[1].

سعد وتحريم الخمر

ومن الآيات التي نزلت بسبب حادثة وقعت لسعد بن أبي وقاص ما رواه سعد عن نفسه قال:

(أتيت على نفر من المهاجرين و (الأنصار) فقالوا: تعال نُطعمك ونسقيك خمرا، وذلك قبل أن تحرم الخمر؛ فأتيتهم في حُشٍ –والحش البستان– فإذا رأس جزور مشوي عندهم، ودنٌّ من خمر، فأكلت وشربت معهم، وذكرت الأنصار والمهاجرين فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجل (أحد) لحيي الرأس (فضربني به) فجدع أنفي؛ فأتيت رسول اللهﷺ فأخبرته؛ فأنزل الله فيَّ –يعني نفسه– شأن الخمر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ

(١) اسباب نزول القرآن ص٢٠٠، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى ١٣٨٩-١٩٦٩، دار الكتاب الجديد، لجنة إحياء التراث الإسلامي

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾)[1]. سورة لقمان/ ١٥.

سعد يهاجر إلى المدينة

لما أذن النبيﷺ لصحابته في الهجرة إلى المدينة، كان من أوائل من هاجر: سعد بن أبي وقاص، حتى إنه وصل إلى المدينة قبل أن يصل النبي ﷺ اليها ، قال البراء بن عازب رضي الله عنه:

(أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبيﷺ..)[2].

لقد كان سعد من السابقين إلى الهجرة كما كان من السابقين لدخوله في الإسلام؛ كان يحرص على الفوز بكل فضيلة، وهل هناك من فضيلة بعد فضيلة الإسلام أفضل من الهجرة في سبيل الله؟!.

ولم يهاجر سعد وحده، بل كان معه أخوه عمير بن أبي وقاص، ونزلا في بيت أخيهما عتبة بن أبي وقاص، وقد كان بناه في الجاهلية في بني عمرو بن عوف. ومنذ وصول النبيﷺ إلى المدينة، ظل سعد ملازما للنبيﷺوقد آخى بينه وبين سعد بن معاذ.

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٥٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب: مقدم النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة) حديث ٣٩٢٥، ٩٨٨.

في غزوة بدر

أساء مشركو مكة إلى المسلمين كل الإساءة، فاضطهدوهم وعذبوهم بغية صدهم عن الإسلام، حتى اضطروهم إلى أن يهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة وقد استولى قسم منهم على أموال المسلمين ودورهم. وظل مشركو مكة كعادتهم يقومون بتجارتهم إلى الشام وسمع النبيﷺ بتجارة لقريش قادمة من الشام يقودها أبو سفيان، فندب المسلمين للخروج لها لعل الله ينفِّلها لهم. خرج النبي ومعه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، وبلغ الخبر أبا سفيان، فسلك طريق الساحل لينجو بالتجارة، وسمعت قريش بما عزم عليه النبيﷺ فخرجت بقضها وقضيضها لتنقذ تجارتها، وقد نجت التجارة، لكن حدث الصدام بين المسلمين والمشركين في صبيحة يوم السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة. والذي يهمنا هنا أن نذكر شيئا من جهاد سعد في هذه الغزوة.

قاتل سعد في غزوة بدر قتالاً شديدا قلَّ نظيره، وقد نظر إليه الصحابة فاعجبوا بقتاله وشهدوا له بذلك. وممن أعجب بقتاله وثباته وشجاعته عبد الله ابن مسعود ﷺ، فقد قال: (كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل)[1].

وهذا يعني أن سعدا لم تكن له فرس يقاتل عليها فهو يقاتل ماشيا على

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ٦/ ١٠٩ تحقيق: عبد الله محمد الدرويش حديث٩٩٨٤، ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الفكر بيروت.

قدميه، ومع ذلك فقد كانت شجاعته وبسالته وإقدامه وفتكه بالكفار بسهامه، فكان هذا الجهد يساوي جهد الفارس الذي يقاتل على فرسه، فكأنه قاتل راجلا وراكبا الفرس، وكان ﷺ يرمي بسهامه ويدعو الله عليهم، والنبي الكريم يؤمِّن على دعائه، وقد قتل بسهامه حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، واشترك مع حمزة بن عبد المطلب في قتل نبيه بن الحجاج بن عامر السهمي، وقتل العاص بن سعيد بن العاص. ولم يكتف سعد بقتل اثنين وحده وثالث بالإشتراك مع حمزة، بل قام بأسر أربعة من المشركين وهم الحارث بن أبي وجزة، وسالم بن شماخ، وعبد الله بن السائب، والفاكه مولى أمية بن خلف.

وفي هذه الغزوة –أيضا– اصاب بسهمه سهيل بن عمرو –وكان زعيما من زعماء قريش– أصابه في عرق النسا وجرى الدم منه بغزارة وهرب، الا أن مالك بن الدُّخشم لحقه وأسره، واختلف سعد وابن الدُخشم فقال سعد انه اسيري وانا رميته بقوسي وجرحته، وقال ابن الدخشم: إنه أسيري أنا لأني أنا الذي أخذته وكتفته، وقد اختصما إلى رسول الله ﷺ فأخذه منهما.

في غزوة أحد

لا نريد أن نعيد الحديث هنا عن سبب هزيمة المسلمين في غزوة أحد، فقد تكلمنا في ذلك فيما مضى، والذي يهمنا هنا أن نتحدث عمَّا قام به سعد بن ابي وقاص في هذه الغزوة، بعد أن قُتل من المسلمين من قتل وجُرح منهم من جرح، وبلغت حراجة المسلمين هناك مداها حتى هجم المشركون على النبي ﷺ يريدون قتله، فتصدى لهم سعد وثلةٌ من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله وأبو

عبيدة عامر بن الجراح وأبو دجانة سماك بن خرشة وغيرهم ﷺ وقد أبلى سعد في هذه المعركة بلاءا حسنا، فقد كان ذا مهارة فائقة، فاستعملها في هذه الغزوة خاصة وفي غزواته الأخرى أيضا. ففي هذه الغزوة قتل ثلاثة من الكفار بسهم واحد رمى بالسهم المشركين فأصاب أحدهم فقتله، فرده المشركون به فلم يصبه، فتناوله ورمى به مرة ثانية، فأصاب أحدهم فقتله، فرده عليه المشركون فلم يصبه، فرمى به سعد مرة ثالثة فأصاب أحدهم فقتله! فتعجب المسلمون من فعله ودقته فقال أنبَلَنيهِ رسول الله ﷺ، فهو الذي ناولني إياه[1]. وممن قتل سعد في هذه الغزوة (حبان بن العرقة) وقد آذى المسلمين بسهامه، فرماه بسهم أصابه في ثغرة نحره ووقع مستلقيا على ظهره، كما قتل راميا من أمهر رماة قريش هو مالك بن زهير الجشمي، ولّما رأى النبي ﷺ ما يفعله سعد بالمشركين فداه بأبيه وأمه، فقال سعد: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين (أي أثخن فيهم القتل) فقال النبيﷺ مخاطبا سعداً: «**ارمِ فداك أبي وأمي**»[2].

في غزوة الخندق

حقد اليهود على الإسلام معروف، ونقضهم للعهود سمة من سماتهم. وقد عمل زعيمهم (حيي بن أخطب) على تأليب المشركين لمهاجمة المسلمين في المدينة، فذهب إلى قريش وإلى قبائل غطفان وحرضهم على قتال المسلمين،

---

(١) حياة الصحابة تأليف: محمد يوسف الكاندهلوي ٢/١٠٨-١٠٩، تحقيق محمد سيد، دار الفجر للتراث، القاهرة.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: في فضل سعد بن أبي وقاص) حديث ٢٤١٢، ٤/١٨٧٦.

وسارت جيوش الكفر إلى المدينة وكان عددهم ما يقرب من عشرة الآف، وحفر المسلمون الخندق باقتراح من سلمان الفارسي، وفوجيء المشركون بالخندق فلم يتمكنوا من عبوره. وكانت السهام والنبل تطلق من الجانبين، وقد قتل عدد من الطرفين فوق من جرح. ولما كان سعد بن أبي وقاصﷺ أمهر المسلمين في الرماية، فقد قام بدور بطولي في هذه الغزوة، فتطوع بحراسة النبيﷺ وكانت هناك ثلمة في الخندق يحرسها النبي الكريم، وهي أخطر موضع في الخندق، ولما جاء سعد ليحرس النبيﷺ وقد أصاب النبي ما أصابه من التعب والبرد قال لسعد عليك بهذه الثلمة فاحرسها. وكان ﷺ يقوم بدور عظيم في رماية السهام على المشركين؛ لذلك كان النبيﷺ معجبا بشخصيته وبدقة رمايته، وكان يضحك في بعض الأحيان حين يصيب سعد هدفه.

ولقد كان لسعد أثر كبير في حصار المسلمين لبني قريظة وفي سرية ذات السلاسل وفتح مكة والطائف، ففي فتح مكة مثلا عقد النبي ثلاث رايات واحدة مع سعد بن أبي وقاص، وراية مع علي بن أبي طالب، وراية مع الزبير بن العوام ﷺ.

سعد بعد وفاة النبيﷺ

وتمضي الأيام، وينتقل النبيﷺ إلى جوار ربه، ويظل سعد ذلك الجندي الذي وقف نفسه لخدمة المسلمين ونصرة الإسلام، ويوليه الخلفاء مهمات عظمى فيقوم بها خير قيام، وعند التفكير في فتح بلاد فارس، كان عمر بن الخطاب ﷺ حريصا على اختيار القائد من ذوي الكفاية، فلم يجد أفضل من

سعد بن أبي وقاص لهذه المهمة، فأمَّره على قيادة معركة القادسية، وقاد المعركة مع مرضه الشديد وانتصر فيها، ثم تولى بعد ذلك فتح المدائن عاصمة الفرس، وصلى فيها صلاة الجمعة في إيوان كسرى وكان أول حاكم على العراق، ونظر سعد إلى النعيم الذي كان عليه الفرس وكيف أذلهم الله بعد أن انحرفوا عن نهجه القويم وصراطه المستقيم، فكان يسير ويتلو قوله تعالى:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ سورة الدخان.

النبي يفخر بسعد

إنه لشرف عظيم لسعد أن يفخر به النبي ﷺ في مجمع من صحابته! وماذا يبتغي سعد أكثر من تلك الشهادة العالية التي شهد بها لسعد؟! فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبل سعد؛ فقال النبي ﷺ «**هذا خالي فليرني أمرؤ خاله**»[1].

وفي هذا الحديث يفخر النبي ﷺ بسعد فكأنه يقول: من له خال مثلُ خالي في فضائله وشمائله وسيرته.

دعاء سعد

كان سعد بن أبي وقاص مستجاب الدعوة، وذلك ببركة دعاء النبي ﷺ له، فقد دعا لسعد قائلاً:

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب سعد بن أبي وقاص)، حديث ٣٧٥٢ ص٨٤٩.

«**اللهم استجب لسعد إذا دعاك**»[1].

وقد حفظ لنا المحدثون عددا من الحوادث التي دعا فيها سعد ربه فاستجاب له، ومن ذلك:

١- ما رواه جابر بن سمرةﷺ قال: (شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إلى عُمَرَ ﷺ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عليهم عَمَّارًا، فَشَكَوْا حتى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إليه فقال: يا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ قال: أَمَّا أنا والله فَإِنِّي كنت أُصَلِّي بِهِمْ صَلاةَ رسول اللهِ ﷺ ما أَخْرِمُ عنها أُصَلِّي صَلاةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ في الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْنِ، قال: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ معه رَجُلاً أو رِجَالاً إلى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عنه أَهْلَ الْكُوفَةِ، ولم يَدَعْ مَسْجِدًا إلا سَأَلَ عنه وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حتى دخل مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ فَقَامَ رَجُلٌ منهم يُقَالُ له أُسَامَةُ بن قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قال: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فإن سَعْدًا كان لا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ ولا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، ولا يَعْدِلُ في الْقَضِيَّةِ، قال سَعْدٌ: أَمَا والله لأَدْعُوَنَّ بِثَلاثٍ، اللهم إن كان عَبْدُكَ هذا كَاذِبًا قام رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ. وكان بَعْدُ إذا سُئِلَ يقول: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. قال عبد الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قد سَقَطَ حَاجِبَاهُ على عَيْنَيْهِ من الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي في الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ)[2].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب أبي اسحق سعد بن أبي وقاص) حديث ٣٧٥١ ص٨٥٢، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان (باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها..) حديث ٧٥٥ ص ١٢٢-١٢٣.

٢- وعن سعيد بن المسيب: (أن رجلا كان يقع في علي وطلحة والزبير، فجعل سعد بن مالك-أي سعد بن أبي وقاص- ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني فأبى، فقام سعد فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان مسخطا لك فيما يقول فأرنى به آفة، واجعله آية للناس. فخرج الرجل، فإذا هو ببختي[١] يشق الناس، فأخذه بالبلاط[٢]؛ فوضعه بين كركرته[٣] والبلاط؛ فسحقه حتى قتله. فانا رأيت الناس يتبعون سعدا ويقولون هنيئا لك أبا إسحاق اجيبت دعوتك)[٤].

٣- (عن قيس بن أبي حازم قال: كنت بالمدينة، فبينا أنا أطوف في السوق، إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قوما مجتمعين على فارس قد ركب دابة، وهو يشتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص، فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: يا هذا على ما تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ حتى قال ألم يكن ختَن رسول الله ﷺ على ابنته؟

---

(١) البختي: هو البعير.

(٢) البلاط: الأرض المستوية الملساء.

(٣) الكركرة: رحى زور البعير، أو صدر كل ذي خف.

(٤) تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي رقم ٤٦٣٦، ١٣٩، بتحقيق بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ١٤٢٢-٢٠٠١، دار الغرب الإسلامي، بيروت. وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٠/ ٣٤٨-٣٤٩، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/ ٤٩٣.

ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم إن هذا يشتم ولياً من أوليائك، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك، قال قيس فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات)[1].

سعد يعتزل الفتنة

اعتدى الخوارج على سيدنا عثمان لّما حاصروا المدينة وحاصروه هو في بيته أيضا، حتى لم يمكنوه من القاء خطبة يخاطب بها الناس، فقد حُصبَ وهو على المنبر حتى غُشي عليه وحمل إلى داره. وجاء سعد إلى دار عثمان ليحرسه وكان معه عدد من الصحابة منهم: زيد بن ثابت والحسن بن علي وأبو هريرة ... لكن عثمان طلب منهم أن يعودوا إلى بيوتهم. وذهب سعد إلى علي بن أبي طالب ليحقن دم عثمان، وحاول علي ولكنه لم يفلح، لقد علم سعد أنه لا طاقة له بالخوارج، ولا يسمح له عثمان بالدفاع عنه، فخرج إلى أرض خارج المدينة متألماً على وضع الخليفة المحاصر. ولّما قتل الخليفة وجاءه من يقول: إن الخليفة قتل، ترحم على عثمان، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ سورة الكهف.

---

(١) رواه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة (ذكر مناقب أبي إسحق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) حديث ٦١٢١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك ٣/ ٥٧١-٥٧٢.

ودعا عليهم فقال: (اللهم أندمهم، ثمَّ خُذهم) واستجاب الله دعوة سعد فأخذ المجرمين القتلة أخذ عزيز مقتدر، وعرضت الخلافة على سعد فرفضها.. وقد بايع عليا ثم اعتزل، وأقام في بيته خارج المدينة.

وفاة سعد

ظل سعد على موقفه في اعتزال الفتنة، حتى بعد أن تنازل الحسن لمعاوية ووقف سفك الدماء، وكان محبا لسيدنا علي ولا يسكت على من يسيء إليه حتى أدركه الموت سنة خمس وخمسين من الهجرة وعمره خمس وثمانون سنة، وكان آخر المهاجرين وفاة. وقد أوصى قبل أن يفارق الحياة بوصيتين.

الأولى: أن يكفن بجبته الصوف البالية التي قاتل فيها في غزوة بدر، فقد كان يعتز بها، واحتفظ بها إلى آخر عمره. فقال: لأهله: (كفنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنت أخبأها لهذا اليوم)[1].

الثانية: أن يدفن كما دفن النبيﷺ بأن يلحد له في قبره.

مات سعد وهو مستبشر بلقاء الله، يحسن الظن به تعالى، ويوقن بأنه من أهل الجنة لبشارة النبيﷺ له بذلك غادر الحياة ورأسه في حجر ابنه مصعب، وقد غسلوه وكفنوه بجبة الصوف البالية كما أوصى، ونقل إلى المدينة، فصلى عليه في المسجد النبوي واليها مروان بن الحكم. وبعد أن صلى عليه الرجال طلبت أمهات المؤمنين أن يمروا بجنازته عليهن للصلاة عليه. وهكذا صلّت

---

(١) رواه الحاكم في كتابه المستدرك، حديث ٦١٠٠، ٣/ ٥٦٧.

أمهات المؤمنين عليه. ولما وضعت الجنازة أمام أم سلمة لتصلي عليه بكت وقالت: بقية أصحاب رسول الله ﷺ[1] وبعد الصلاة دفنوه في مقبرة البقيع.

هكذا فارق سعد الحياة بعد أن جاهد ذلك الجهاد وتوفي النبيﷺ وهو عنه راضٍ كما أن الله تعالى رضي عنه أيضا فقال تعالى﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الفتح

وبعد:

فإن شبابنا في حاجة ماسة –وبخاصة في هذا العصر- أن يعرفوا تاريخ آبائهم وأجدادهم الذين هم مفخرة من مفاخر التاريخ! وإذا كانت الأمم التي لا تاريخ لها تختلق لها تاريخاً وتحله من نفسها المحل الأرفع، فكيف بتاريخنا الذي هو نادرة التواريخ، وعلى رأس تاريخنا عظماء من صحابة النبيﷺ، وقد كانوا أتقياء أنقياء، أقاموا موازين العدل بين الأمم، وضربوا المثل الأعلى في الشهامة والشجاعة والغيرة والنجدة والصبر عند اللقاء؟!.

ندعو الله أن يجمعنا بسيدنا سعد وصحابة النبي في جنات النعيم.!

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ١٢٣.

أبو عبيدة عامر بن الجراح

أمين هذه الأمة

أبو عبيدة عامر بن الجراح

أمين هذه الأمة

نحن الآن مع صحابي جليل، ضرب أروع الأمثلة في الجهاد في سبيل الله، وفي الشجاعة الحكيمة، وفي الزهد والتواضع وكل خلق نبيل!. ويكفيه شرفاً صحبته لرسول اللهﷺ، ويكفيه فخراً ثناء النبيﷺ وثناء صحابته عليه.!! إنه أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ابن مالك[1] فيقولون: الفهري يجمع نسبه مع النبيﷺ عند فهر بن مالك. والنبي ﷺ هو من أولاد غالب بن فهر، وأبو عبيدة من أولاد الحارث بن فهر.

عاش أبو عبيدة نصف حياته في الجاهلية قبل بزوغ فجر الإسلام على الوجود، فلم يدوِّن المؤرخون شيئا عن حياته فيها. ولّما شرح الله صدره للإسلام وعاش مع النبيﷺ ظهر معدنه الأصيل: بأمانته وقياداته في فتح بلاد الشام، وقبل ذلك في غزوات النبيﷺ وسراياه، حتى ان النبيﷺ سماه أمين الأمة وسُميَّ بأمير الأمراء!.

نقرأ أحاديث النبيﷺ وكتب السير، فنجد أخباره منبثة هنا وهناك: فقد عاش ﷺ ما يقرب من عشرين سنة، مصاحبا لرسول الله ﷺ مؤتمراً بأمره، وشهد المشاهد كلها لم يتخلف عن غزوة من غزواته، وكان النبيﷺ يرسله في عدد من السرايا فيقوم بها خير قيام، وشاهد النبي عليه الصلاة والسلام نبوغه

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٥.

وإخلاصه وشجاعته فكان من المقربين اليه. ولما انتقل النبي إلى جوار ربه ظلَّ أبو عبيدة سامعاً لأبي بكر مطيعاً له، ولّما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب، كان له دورٌ كبير في فتوح الشام، قائداً لجند الله.

شخصية أبي عبيدة

لم يكن البيت الذي نشأ فيه أبو عبيدة له الزعامة في مكة، فقد نشأ في بطن من بطون قريش المتواضعة، وكان في حياته كلها رقيق الطباع، متواضعاً منقاداً للحق، محبوباً ممن يعاشره.

إسلامه

أسلم أبو عبيدة في فجر البعثة النبوية، قبل أن يدخل النبيﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم[1]، بعد ان حدثه عن الإسلام أبو بكر ورغبه فيه ودعاه إليه، ولم يصلنا ترتيبه في السابقين إلى الإسلام، وقد ذكر (ابن هشام) أنه ممن أسلم بعد ثمانية نفر سبقوا إلى الإسلام من الذكور وهم: زيد بن حارثة، وعلي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. وبعد أن أسلم أصابه الأذى من قريش فصبر على ما أوذي به، واضطر أن يهاجر إلى الحبشة ثم يعود بعد مدة إلى مكة...

---

(١) كانت دار الأرقم على الصفا أو كانت قريبة منه، وكان النبي ﷺ يلتقي المسلمين الأوائل فيها قبل أن يسلم عمر بن الخطاب، وقد أسلم في هذه الدار ناس كثيرون، وسميت أيضا بدار الإسلام.

وتمضي السنوات، ويُضيَّق على المسلمين أكثر، فيأذن النبيﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة ويهاجر النبي الكريم وبصحبته أبو بكر الصديق.! وظلت الهجرةُ مستمرة ولم تقف إلى أن فتحت مكة، عند ذاك قال النبيﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا**»(١).

أما هجرة أبي عبيدة، فكانت قبل هجرة النبي ﷺ، ونزل على كلثوم بن الهدم الأوسي، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي ﷺ إلى المدينة. لذلك سمي أبو عبيدة بذي الهجرتين، كما سمي كل من هاجر إلى الحبشة والمدينة بذلك. وقد شهد النبي ﷺ له بالجنة، وسماه أمين الأمة، وهذا وسام من النبي الكريم لأبي عبيدة، وطريق من الطرق الهادية إلى الجنة، فهو شرف يعتز به كل من يوصف به، فكيف إذا كان هذا الوسام والشرف من النبيﷺ؟!.

لقد كان لأبي عبيدة تاريخ حافل بالدعوة إلى الله وبالجهاد في سبيل الله، وكان ذا شخصية قل نظيرها. فليس عجباً أن نرى أبا بكر الصديق ﷺ يريد أن يوليه الخلافة يوم السقيفة؛ وذلك لكمال أهليته لها!.

ملامح من جهاده وسيرته

لا أريد هنا أن اتوسع في سيرة أمين الأمة أبي عبيدة، واكتفي بذكر نماذج فقط من جهاده في سبيل الله، وملامح من فضائله وزهده ثم انتقاله إلى جوار ربه.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (باب: فضل الجهاد والسير) تحقيق: خليل مأمون شيحا، حديث٢٨٣، ص٧٢٤، الطبعة الثانية ١٤٢٨-٢٠٠٧، دار المعرفة بيروت.

في غزوة بدر

كان لأبي عبيدة دور مهم في غزوة بدر، فقد قاتل قتال الأبطال هو ومن كان معه من المهاجرين والأنصار ضد جبهة الشرك. وظهرت قوة العقيدة الإسلامية أوضح ما ظهرت في هذه الغزوة، فقد قاتل المهاجرون أقرباءهم من المشركين، فلم تكن لآصرة القرابة أثر إذا اختلفت مع عقيدة الإسلام. ونتأمل في هذه الغزوة، فنجد الأب في جيش والأبن في جيش آخر، ونجد المسلم في جيش المسلمين وأخاه الكافر في جيش المشركين، وقام المهاجرون بقتل من استطاعوا قتلهم من القرشيين الذين جمع بينهم النسب، وفرقت بينهم العقيدة، ونقرأ السيرة النبوية، فنجد فيها أبا بكر همّ بقتل ولده عبد الرحمن –وكان آنئذ مشركا– لولا أن الرسول ﷺ قال لأبي بكر «**متعنا بحياتك يا أبا بكر**»، وفيها أن عمر بن الخطاب قتل خاله، وقتل مصعب بن عمير أخاه. وفي هؤلاء وأمثالهم من الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان نزل قوله تعالى:

﴿ **لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ** ﴾سورة المجادلة/ ٢٢.

حول قتل أبي عبيدة أباه

قد يسأل سائل: أصحيح أنَّ أبا عبيدة قتل أباه في غزوة بدر؟ فقد سمعنا –وما زلنا نسمع كذلك– من الوعاظ ورجال الدعوة إلى الإسلام هذه المسألة.

وقد أخذ الوعاظ ورجال الدعوة إلى الإسلام هذا من كتب المغازي

والسير، وكذا كتب التاريخ والتفسير وقالوا: إن والد أبي عبيدة كان في صف المشركين الذين قاتلوا في بدر ضد المسلمين، وصار والد أبي عبيدة يتصدى لولده وأبو عبيدة يحيد عنه، فلمّا أكثر في ذلك قصده أبو عبيدة فقتله.!!

ولقد حقق هذه المسألة الأستاذ محمد محمد حسن شراب، فذكر (أن ابا عبيدة لم يقتل أباه يوم بدر، وليس في هذا –أي في قتل أبيه– خبر صحيح أو حسن أو ضعيف)[1]. مستدلا بنقد الروايات الواردة في هذا الشأن نقدا حديثيا، ومقيما أدلة عقلية ونقلية على ذلك. ومن شاء التوسع فليرجع إلى كتابه (أبو عبيدة عامر بن الجراح) سلسلة أعلام المسلمين ٦٧ فهو كتاب قيم وقد أفدت منه في كتابة هذا المقال.

في غزوة أحد

الحديث في غزوة أحد ذو شجون، ينبيء عن المعدن الأصيل للصحابة الكرام، وحبهم الشديد لرسول الله ﷺ ففي هذه الغزوة تعرضت حياة النبيﷺ للخطر فشُجّ وجهه وكسرت رباعيته، ودخلت حلقتان من المِغفر في وجنته ﷺ، وكان لأبي عبيدة دور كبير في هذه الغزوة أبلى فيها البلاء الحسن، فثبت مع النبي الكريم حين انهزم الناس، وأبدى بطولة في الدفاع عنه قلَّ نظيرها، ولندع أبا بكر الصديقرضي الله عنه يروي لنا ما كان منه مع النبي، بعد أن أصاب النبي ما أصابه

---

(١) أبو عبيدة عامر بن الجراح تأليف الأستاذ محمد محمد حسن شُراب ص٧٢، سلسلة أعلام المسلمين٦٧ الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧، دار القلم، دمشق.

فقال:

(لما كان يوم أحد ورمي رسول الله ﷺ في وجهه حتى دخلت في وجنتيه حلقتان من المِغفَر[1]، فأقبلت أسعى إلى رسول الله ﷺ، وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيرانا فقلت: اللهم اجعله طاعة، حتى توافينا إلى رسول الله ﷺ، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بدرني فقال: أسألك بالله يا أبا بكر الا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله ﷺ. قال أبو بكر: فتركته فأخذ أبو عبيدة بثنية إحدى حلقتي المِغفَر فنزعها وسقط على ظهره، وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى فسقطت، فكان أبو عبيدة في الناس أثرم)[2].

سرية ذات السلاسل[3]

عاد المسلمون من غزوة مؤتة إلى المدينة، وقد أصاب المسلمين ما أصابهم من الهم والغم والحزن والألم، فكان عدد المسلمين ثلاثة الآف، وعدد الروم مائتي ألف، فقد كانت الكفة غير متعادلة من حيث العدد والعدة؛ وقد استشهد القادة الثلاثة الذين عينهم النبي ﷺ الواحد بعد الآخر. وعاد المسلمون إلى المدينة، ولم يمضِ على رجوعهم سوى أيام قليلة، حتى جهَّز النبيﷺ جيشا إلى ذات السلاسل، وأمَّر عليه عمرو بن العاص لتأديب (قضاعة) التي اشتركت

---

(١) المغفر: زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤١٠ طبعة دار صادر، بيروت.

(٣) ذات السلاسل: منطقة وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة أيام إلى الشمال، وتقدر بأربعين إلى خمسين كيلو متراً.

مع الروم في قتال المسلمين.. فعل النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه هذا بعد أن بلغ الغرور بقضاعة مبلغه، حتى تجمعت تريد القرب من المدينة. وسار ابن العاص على بركة الله وكان معه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وفوجيء عمرو بأن قضاعة جمعت لهم جموعا كثيرة؛ فأرسل إلى النبي يخبره بذلك ويطلب منه المدد؛ فأرسل النبي ﷺ مائتين من المهاجرين والأنصار –وفيهم ابو بكر وعمر– وأمرَ عليهم ابا عبيدة بن الجراح. ولما وصل المدد وأراد ابو عبيدة أن يؤم الناس في الصلاة فقال له عمرو: إنما قدمت عليّ مددا، وليس لك أن تؤمني وأنا الأمير، فما كان من أبي عبيدة إلا أن استجاب لعمرو قائلا له: إنّ آخر ما عهد الي رسول الله ﷺ أن قال: إذا قدمتَ على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا، وإنك والله إن عصيتني لأطيعنك، وظل عمرو يصلي بالناس[1].

لقد اراد المهاجرون أن يؤمهم أبو عبيدة، ويؤم عمرو من كان معهم، لكن عمراً لم يقبل ذلك. فخشي أبو عبيدة من الاختلاف الذي يؤول إلى الضعف والوهن وينتهي بالإخفاق فقطع النزاع، وانضم جنديا تحت إمرة عمرو بن العاص؛ امتثالاً لوصية النبيﷺ له.

وهذه منقبة من مناقب أبي عبيدة، فلم ينازع عمراً في الإمامة، وانتهت السرية باحراز النصر وهزيمة الأعداء.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٩.

في غزوة سيف البحر[1] أو غزوة الخبط[2]

بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأذن الله له بالجهاد، صار صلوات الله وسلامه عليه يرسل بسراياه ليتعرضوا لتجارات قريش، سواء جاءت من مكة في طريقها إلى الشام أو بالعكس ليستولوا عليها. وظلّ الأمر هكذا حتى نهاية السنة السادسة من الهجرة لمّا تم توقيع صلح الحديبية بين النبي ﷺ وقريش لمدة عشر سنوات.

ومن تلك السرايا التي شكلها النبيﷺ سرية مكونة من أكثر من ثلاثمائة مجاهد من المهاجرين والأنصار، وكان ذلك بعد غزوة الأحزاب وقبل فتح مكة، وأمَّر على هذه السرية أبا عبيدة عامر بن الجراح؛ ليرصدوا عيرا لقريش، ويؤدبوا أحياء من قبيلة (جهينة) مقيمة هناك كيلا يؤذوا المسلمين. سارت هذه السرية وليس معها سوى جراب من التمر، فقد كان المسلمون-آنذاك- يعانون من فقر مدقع وحاجة كاوية، وماذا يفعل جراب التمر مع أكثر من ثلاثمائة مجاهد، ربما تطول غربتهم عن المدينة والمهمة صعبة، وزاد الواحد منهم حفنة من تمر، حتى إذا شارف التمر على الإنتهاء صار يصيب الواحد تمرة واحدة فقط. فلما انتهى التمر، صاروا يتصيدون ورق الشجر بقسيهم، فيسحقونه ويشربون عليه الماء، لذلك سميت هذه الغزوة بغزوة الخبط. وقد نقل لنا قصة

---

(١) سيف البحر: أي ساحل البحر. والمراد هنا ساحل البحر الأحمر من جهات مدينة ينبع.

(٢) الخبط: ورق السلم. وسميت الغزوة بهذا لأن الصحابة لما لم يجدوا لهم طعاما صاروا يضربون ورق السلم وهو ورق أخضر صغير وكانت الإبل ترعاه، فيستفونه ويشربون عليه الماء.

هذه السرية جابر بن عبد الله ﷺ فقال:

(بَعَثَ رسول اللهَّ ﷺ بَعْثًا قِبَلَ السَّاحِلِ فَأَمَّرَ عليهم أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ وَهُمْ ثلاثمائة، وأنا فِيهِمْ فَخَرَجْنَا حتى إذا كنا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الزَّادُ؛ فَأَمَرَ أبو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذلك الْجَيْشِ فَجُمِعَ ذلك كُلُّهُ فَكَانَ مِزْوَدَيْ[1] تَمْرٍ، فَكَانَ يُقَوِّتُنَا كُلَّ يَوْمٍ قَلِيلًا حتى فَنِيَ فلم يَكُنْ يُصِيبُنَا إلا تَمَرَةٌ تَمَرَةٌ فقلت: وما تُغْنِي تَمَرَةٌ؟ فقال: لقد وَجَدْنَا فَقْدَهَا حين فَنِيَتْ، قال ثُمَّ انْتَهَيْنَا إلى الْبَحْرِ فإذا حُوتٌ مِثْلُ الظَّرِبِ[2] فَأَكَلَ منه ذلك الْجَيْشُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةً...)[3].

ونجد حكمة القائد أبي عبيدة تتجلى هنا في جمع ما كان مع الجيش من أزواد، فصار يعطي كل واحد قليلاً مما جمعه بالسوية، إلى أن قلَّت الأزواد وكادت تفنى، فكان يعطي كل واحد منهم تمرة تمرة. ولمّا سمع راوي الحديث من جابر هذا سأله: ما تغني عنكم تمرة؟ فأجاب جابر: إن الواحد منا كان يمص التمرة كما يمص الصبي الثدي، ثم يشرب عليها الماء، فتكفيهم اليوم إلى الليل. ولما نفد التمر أصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخَبَطَ، فسمي ذلك الجيش جيش الخبط...

لقد كان النبيﷺ يعرف كفاية صحابته، فيعطي كل واحد منهم ما يناسبه

---

(١) المزود: ما يجعل فيه الزاد.

(٢) الظرب: الجبل الصغير.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة سيف البحر) حديث ٤٣٦٠ ص١٠٨٣.

من عمل، فأعطى القيادة في هذه الغزوة لأبي عبيدة، وذلك لنبوغه في الجهاد.. وعادت سرية أبي عبيدة إلى المدينة سالمة.

أبو عبيدة بعد انتقال النبيﷺ إلى جوار ربه

بعد أن انتقل النبيﷺ إلى جوار ربه، ظل أبو عبيدة ذلك الجندي المخلص من جنود الإسلام، متعاونا مع خليفة رسول الله أبي بكر الصديق، وكان ابو بكر يعتمد عليه في مهمات الأمور فقد ولّاه شؤون المال، وكيف لا يوليه وقد شهد له النبيﷺ بأنه أمين الأمة، ولكن إذا دعا داعي الجهاد كان في المقدمة، وكان يعقد له اللواء ويؤمره على الجيش، ويوجهه إلى هنا وهناك من بلاد الشام، وكان –في بعض الأحيان– يعقد الوية أخرى لقواد آخرين ويأمرهم أن يكونوا تحت قيادة أبي عبيدة.

وبعد أن توفي أبو بكر كان الذراع القوي لعمر بن الخطاب، فهو يعرف مواهبه القيادية فيؤمره في قيادة بعض الجيوش، وهو أول من سمي أمير الأمراء في الشام، وذلك لقيادته الحكيمة وتخطيطه الدقيق، وهمته العالية، وإخلاصه في القول والعمل. وقد ظهرت بطولات من جنود المسلمين الذين كانوا تحت قيادة أبي عبيدة تدل على الإيمان العميق للجنود وللقائد أيضا. يقول ابن كثير:

(ويقال ان اول من قتل من المسلمين يومئذ شهيدا، رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال: اني قد تهيأت لأمري –أي انه يريد الشهادة في سبيل الله– فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ؟ قال نعم تقرئه السلام وتقول: يا رسول الله، انا قد

وجدنا ما وعدنا ربنا حقا. قال: فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله)[1].

هكذا يكون الإيمان العميق!. إن هذا الجندي يوقن أن جهاده في سبيل الله، وأنه سيستشهد، وسيلتقي رسول الله، فإذا كان عند أبي عبيدة رسالة إلى الرسول الكريم فسيوصلها إليه!. وتأتي رسالة أبي عبيدة للنبي معبرة عن صادق الإيمان بهذا الدين الذي جاء به النبي عن اللهﷻ.

أبو عبيدة وفتح بلاد الشام

اتخذ خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﷺ قراره لفتح بلاد الشام، فاختار أربعة من القادة وعلى رأسهم أبو عبيدة لفتح بلاد الشام. وعند اكتمال العدة والعدد سار ابو عبيدة على بركة الله. وأول مدينة اصطدم فيها الجيش الإسلامي بالروم كان في مدينة (مآب)، وقد حاصر المسلمون الروم، فطلبوا الصلح مع المسلمين؛ فأجابهم أبو عبيدة لطلبهم. واستمر فتح المدن، فانتصر المسلمون في معركة اليرموك، ثم توجه أبو عبيدة بعد ذلك إلى دمشق، ثم رحل إلى حلب، ثم إلى انطاكية، وفتحت أعداد كثيرة من المدن بعد ذلك.

عمر يعزل خالدا ويولي أبا عبيدة

ما ان تولى عمر بن الخطاب ﷺ إمرة المؤمنين بعد وفاة أبي بكر، حتى قام بعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش في الشام، وأَمَّرَ مكانه أبا عبيدة عامر بن الجراح، وكتب بذلك إلى أبي عبيدة، وأمره أن يستشير خالداً في الحرب. ولما

---

(١) البداية والنهاية لأبن كثير ٧/ ١٢.

وصل كتاب عمر كان ابن الوليد يخوض حربا فاصلة مع الروم، فضمَّ الكتاب ولم يبلغ به خالداً، حتى إذا انتهى خالد من احراز نصره المبين، جاء ابو عبيدة بالكتاب وقرأه على خالد؛ فاستقبله برضى وطيب نفس وقال له:

(يرحمك الله ما منعك أن تعلمني حين جاءك الكتاب؟ فقال: إني كرهت أن أكسر عليك حربك، وما سلطان الدنيا اريد، ولا للدنيا أعمل، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان، وما يضرّ الرجل ان يليه أخوه في دينه ودنياه)[1].

وظل أبو عبيدة يستشير خالدا كما أوصاه أمير المؤمنين عمر، ولا يقطع أمراً دونه، وهذا يدل على حقيقة النبل الذي كان عليه أبو عبيدة، وحسن تدبيره وتقديره.

زهده

المعروف عن القادة الذين يدخلون المعارك وينتصرون فيها تفتح الدنيا أمامهم، ويعيش كثير منهم –إن لم نقل كلهم– في بحبوحة من العيش، بل وبالبذخ والترف أيضا، ولكنَّ ابا عبيدة ليس كذلك، فقد جاءت الدنيا اليه صاغرة منقادة راغمة، تحمل كنوز القياصرة وغنائم الروم. بمباهجها ومغرياتها وزخارفها، ووقف أمام ذلك كله ابو عبيدة زاهدا فيها، معرضا عنها؛ لأنه انتصر من قبل على أهواء النفس وشهواتها ومغرياتها قبل أن ينتصر في معاركه

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٣.

المظفرة وهذه صورة من صور زهده:

(قدم عمر رحمة الله عليه الشام، فتلقاه عظماء أهل الأرض وأمراء الأجناد، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: اتاك الان، قال: فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا، فسار حتى أتى منزله فنزل عليه، فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورمحه، فقال له عمر: لو اتخذت متاعاً أو شيئاً؛ فقال أبو عبيدة: يا امير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيل)[1].

وهذه صورة مشرقة اخرى تفصح عما كان عليه أبو عبيدة ومعاذ بن جبل من الزهد:

(فقد أَخَذَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا في صُرَّةٍ، فقال لِلْغُلامِ: اذْهَبْ بِها إلى أبي عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ، ثُمَّ تَلَهَ سَاعَةً في الْبَيْتِ حتى تَنْظُرَ ما يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بها الْغُلامُ إليه، فقال: يقول لك أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اجْعَلْ هذه في بَعْضِ حَاجَتِكَ، فقال: وَصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قال: تَعَالِي يا جَارِيَة اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إلى فُلانٍ، وَبِهَذِهِ الْخَمْسَةِ إلى فُلانٍ، حتى أَنْفَذَهَا، فَرَجَعَ الْغُلامُ وَأَخْبَرَهُ، فَوَجَدَهُ قد أَعَدَّ مِثْلَهَا إلى مُعَاذِ بن جَبَلٍ فقال: اذْهَبْ بهذا إلى مُعَاذِ بن جَبَلٍ وَتَلَهَّ في الْبَيْتِ حتى تَنْظُرَ ما يَصْنَعُ، فَذَهَبَ بها إليه فقال: يقول لك أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اجْعَلْ هذا في بَعْضِ حَاجَتِكَ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد، ص١٦٦، حديث ١٠٣٠، والمصنف للحافظ عبد الرزاق الصنعاني ١١/ ٣١١ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي.

فقال: رَحِمَهُ اللهُ وَوَصَلَهُ تَعَالَى يا جَارِيَة، اذْهَبِي إلى بَيْتِ فُلانٍ بِكَذَا، وَاذْهَبِي إلى بَيْتِ فُلانٍ بِكَذَا، فأطلعت امْرَأَةُ مُعَاذٍ فقالت: نَحْنُ وَاللهِ مَسَاكِينُ فاعطِنَا ولم يَبْقَ في الْخِرْقَةِ إلا دِينَارَانِ فَدَحَا بِهِمَا اليها، وَرَجَعَ الْغُلامُ إلى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ وَسُرَّ بِذَلِكَ وقال: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ من بَعْضٍ)[1].

دعوته الناس لطاعة الله

وكان ﷺ لا يهمه شيء كما يهمه اهتمام المسلم بتقديم الأعمال الصالحات والدعوة إلى تقوى، فكان يسير في العسكر ويقول:

(الا رب مبيِّضٍ لثيابه مدنسٍ لدينه! ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين! بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات[2] ولّما أعجب المسلمون بعظمة هذا القائد: شجاعة وقيادة وأمانة وتواضعا وزهداً خاف أن يفتتن به الناس، فجمعهم وقام فيهم خطيباً فقال:

(يا أيها الناس، إني امرؤ من قريش، وما منكم من أحمر ولا أسود يفضُلني بتقوى، إلا وددت أني في مسلاخه)[3]

هذه هي هويته: مسلم من قريش، ولا يكون الفضل إلا بتقوى الله!.

من فضائل أبي عبيدة

فضائل أبي عبيدة كثيرة ولا نريد هنا تعدادها، ولكن نقف على عدد قليل

---

(١) المعجم الكبير ٢٠/ ٣٣، تأليف: سليمان بن أحمد الطبراني.

(٢) سير أعلام النبلاء ١/ ١٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ١٨.

منها:

١- قال النبيﷺ:

«إنَّ لكل أمة أمينا، وإن أميننا-أيتها الأمة- أبو عبيدة بن الجراح»[١].

٢- عن حُذَيْفَةَ بن اليمان ﷺ قال جاء أَهْلُ نَجْرَانَ إلى النبي ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ لنا رَجُلًا أَمِينًا، فقال: «**لأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ**»، فَاسْتَشْرَفَ له الناس؛ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ[٢].

٣- وقال النبي ﷺ:

«نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح»[٣]

ومن ثناء النبي ﷺ عليه:

٤- **«ما من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذتُ عليه في بعض خُلُقه غير أبي عبيدة بن الجراح»**[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل اصحاب النبيﷺ (باب: مناقب أبي عبيدة بن الجراح) حديث ٣٧٤٤ ص٩٤٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: قصة أهل نجران)، حديث ٤٣٨١، ص ١٠٨٧-١٠٨٨

(٣) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب أبي الفضل عم النبيﷺ وهو العباس بن عبد المطلب) حديث ٣٧٥٩، ص٨٥٠، والإمام أحمد في مسنده ، حديث ٩٣٩٤، ٩/ ٢٠٦.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة، حديث ٥١٥٧، ٣/ ٢٩٨، وسير أعلام النبلاء ١/ ١٣.

٥- وقال فيه معاذ بن جبل ﷺ:

(إنه -يعني أبا عبيدة- لخير من بقي على الأرض)[١].

٦- سار عمر بن الخطاب ﷺ يريد الوصول إلى الشام، فلما وصل إلى (سرغ)[٢] علم أن بالشام وباءا شديدا فقال: (إنْ أدركني أجلي، وأبو عبيدة حي استخلفته، فإن سألني الله ﷻ: لمَ استخلفته على أمة محمدﷺ؟ قلت إني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**إن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح..**»)[٣].

٧- (قال عمر بن الخطاب ﷺ يوما لأصحابه تمنوا: فقال رجل: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله ﷻ، فقال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهرا انفقه في سبيل الله ﷻ وأتصدق به، ثم قال: تمنوا، قالوا: ما ندري ما نقول يا أمير المؤمنين. قال عمر: لكني أتمنى لو أنَّ هذه الدار مملوءة رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح)[٤].

٨- قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ١٦.

(٢) سرغ: منطقة في أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك.

(٣) سير أعلام النبلاء ١/ ٩-١٠.

(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ٤/ ٣٥١، الطبعة الثانية، ١٤٢٤-٢٠٠٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها، وأحسنها أخلاقا، وأثبتها حياءاً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يُكذِّبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح)[1].

مع الخالدين

انتشر مرض الطاعون في جيش أبي عبيدة: وهو مرض معدٍ يجتاح أعدادا كبيرة من الناس في البلاد التي يدخلها حتى سمي قديما بالموت الأسود. وقد اراد أمير المؤمنين ان يستنقذ أبا عبيدة من هذا المرض المؤدي إلى الموت فكتب إليه (إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها، فعجل إلي. فلما قرأ الكتاب قال: عرفت حاجة أمير المؤمنين؛ إنه يريد أن يستبقي من ليس بباق، فكتب: إني قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمتك؛ فإني في جند من أجناد المسلمين؛ لا أرغب بنفسي عنهم فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقيل له. مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأنْ) أي وكأن قد مات.!

هكذا نجد أبا عبيدة حريصا على بقائه مع جنده، حتى ولو أدى الأمر إلى وفاته، فهو لا يريد أن يخلِّص نفسه ويذر جنده يلاقيهم الموت. وهكذا تكون القيادة الحكيمة المخلصة (إذا هرب الناس كافة، فإن الأمير الأمين يثبت ويكون آخر قومه رحيلا، وإذا جاع الناس، فإن الأمير الأمين يطعم قومه ويكون آخر من يأكل وإذا أُصيب القوم، يكون أميرهم أول من يواسيهم ويمسح

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٥٦.

جراحهم...)[1].

ولقد نال الشهادة أبو عبيدة؛ لأن النبي ﷺ نص على أن من يموت بمرض الطاعون يكون شهيدا فقال:

«**الطاعون شهادة لكل مسلم**»[2].

وقال:

«**المبطون شهيد والمطعون شهيد**»[3].

وقبل أن يلقى الله شهيدا دعا من حضره من المسلمين وقال:

(إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، واتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحُجّوا، واعتمروا، وتواصَوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم، ولا تلهكم الدنيا، فإن امرأ لو عُمِّر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي تَرَونْ. إن الله كتب الموت على بني آدم فهم ميّتون، وأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله. يا معاذ بن جبل: صَلِّ بالناس)[4].

---

(١) ابو عبيدة عامر بن الجراح ص ٢٣٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب الطب (باب: ما يذكر في الطاعون) حديث ٥٧٣٢ ص١٤٤٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب (باب: ما يذكر في الطاعون) حديث ٥٧٣٣ ص١٤٥٠.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٢٥/ ٤٨٦-٤٨٧، والرياض النضرة في مناقب العشرة ٤/ ٣٥٨.

وما هي إلا مدة قصيرة حتى فارق ابو عبيدة الدنيا؛ فقام معاذ في الناس فقال: (أيها المسلمون قد فجعتم برجل ما أزعم أنّي رأيت عبداً أبرّ صدراً، ولا أبعد من الغائلة، ولا أشد حباً للعامة، ولا أنصح للعامة منه، فترحّموا عليه، رحمه الله، واحضروا الصلاة عليه)[1].

رضي الله عن أبي عبيدة، وعن صحابة النبي، وجمعنا بهم في جنات النعيم.!

(١) تاريخ مدينة دمشق ٢٥/ ٤٨٦-٤٨٧، والرياض النضرة في مناقب العشرة ٤/ ٣٥٨.

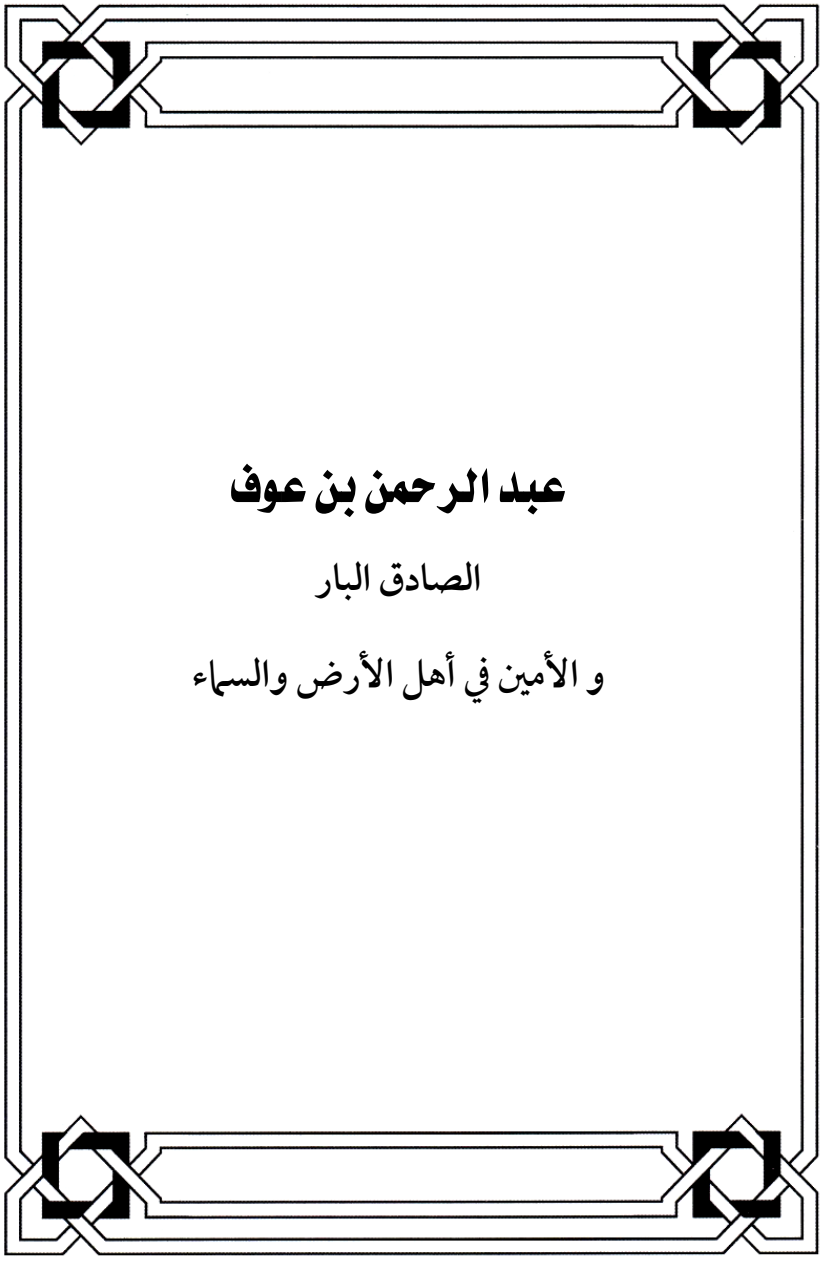

عبد الرحمن بن عوف

الصادق البار

و الأمين في أهل الأرض والسماء

عبد الرحمن بن عوف

الصادق البار

و الأمين في أهل الأرض والسماء

يقف الإنسان معجبا أمام سيرة الصحابة ﷺ؛ إذ تبهرنا شجاعتهم وتضحياتهم بالمال والنفس والولد. إنها كوكبة نيِّرة ترسل باشعاعاتها فتضيء للناس الطريق على طول المدى وبخاصة إذا عظم الخطب، وادلهمَّ الظلام، ولا تنير هذه الكوكبة الطريق للناس في هذه الحياة وحدها، بل تنير لهم أيضا القلوب، وتسلك بهم طريق السعادة في الحياة وبعد الممات. ومن هؤلاء الصحابة الذين أدهشوا الدنيا بنبلهم وسيرتهم العطرة: جهاداً وإنفاقاً للمال وحلاً للمعضلات: الصحابي الجليل أبو محمد عبد الرحمن بن عوف.

اسمه ونسبه

كان اسمه في الجاهلية (عبد الكعبة)، فسماه الرسول ﷺ (عبد الرحمن)، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحب الأسماء الحسنة ويكره غيرها، وكم من اسماء الصحابة التي قام بتغييرها[1].

إسلامه

أسلم في فجر الدعوة الإسلامية على يد أبي بكر الصديق قبل أن يدخل

---

(١) من ذلك تغيير اسم بغيض إلى حبيب، وغيان الى رشدان، وحرب الى سلم، وحزن إلى سهل، وغافل إلى عاقل، وجُعيل إلى عمرو... ينظر: المقاصد النبوية في الأسماء والتسمية؛ جمع ميسون أحمد راجح، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧، المشرق للكتاب، دمشق.

النبي دار الأرقم، فهو أحد الخمسةِ السابقين الى الانضواء تحت لواء الإسلام، وكان قريباً من النبيﷺ، عُرف باستجابته المطلقة للرسول الكريم، ولكل ما يدعو اليه هذا الدين، فكان واحدا من العشرة المبشرين بالجنة، ومن أهل بدر الذين قال النبي ﷺفيهم:

«**لعلَّ الله اطلع الى اهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم**»[1].

وهو من أهل هذه الآية: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الفتح. فكان واحداً ممن رضي الله عنهم ممن بايع تحت الشجرة، وقد صلى النبي ﷺ وراءه بعد أن رجع من غزوة تبوك، وكان أحد الستة من أهل الشورى الذين انتخبهم عمر بن الخطاب ليختاروا خليفة لهم من بعده، بعد أن طعنه المجوسي أبو لؤلؤة فيروز، وقد استخلفه عمر بن الخطاب ﷺ سنة ولي الخلافة على الحج، وأثنى عليه فقال: (عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين)[2] وكان يفتي في المدينة وعلى كثرة ما معه من مالٍ فقد كان زاهدا في الدنيا، معرضاً عن مباهجها ومغرياتها.

اسلم عبد الرحمن، وناله ما ناله من الأذى، شأنه في ذلك شأن سائر

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: فضل من شهد بدرا) حديث ٣٩٨٣ ص ١٠٠١.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٤٨.

الصحابة في العهد المكي، واضطر إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين ثم هاجر إلى المدينة.

هجرته إلى المدينة

ما ان علم عبد الرحمن بدعوة النبيﷺ صحابته الى الهجرة إلى المدينة حتى سارع اليها، وهناك آخى صلوات الله وسلامه عليه بينه وبين النقيب الشهيد سعد بن الربيع، وهذه المؤاخاة لا نجد لها مثيلا في تاريخ العالم قديمهِ وحديثه. ولندع الإمام البخاري يروي لنا ما كان من أمر المؤاخاة بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع فيقول:

(لما قدمنا المدينة آخى رسول اللهﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد ابن الربيع: إني أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالا، فَأَقْسِمُ لك نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لك عنها، فإذا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، قال فقال عبد الرحمن: لا حَاجَةَ لي في ذلك، هل من سُوقٍ فيه تِجَارَةٌ؟ قال: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ، قال: فَغَدَا إليه عبد الرحمن...)[1].

إن موقف سعد بن الربيع هذا يعد قمة في الإيثار، وهو صورة من صور الأنصار في كرمهم وجودهم، ونجد عبد الرحمن قد ضرب مثالا عاليا في عزة المؤمن، والرغبة في العمل والجد والاجتهاد. فهل عرفت الدنيا ايثارا كهذا

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع (باب: ما جاء في قوله تعالى: [فإذا قضيت الصلاة..] حديث ٢٠٤٨ ص٥٣٥.

الإيثار؟ وهل عرفت محبة كهذه المحبة؟ كل ذلك بفضل هذا الدين، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الأنفال.

ويدخل عبد الرحمن سوق بني قينقاع- وهو خبير بالبيع والشراء- وما هي إلا أيام حتى صار من الأغنياء، وصار يتصدق وينفق في سبيل الله، وتزوج امرأة من الأنصار بوزن نواة من ذهب، فقال له النبي ﷺ (أولم ولو بشاة)[1].

وتمضي مدة من الزمن فإذا به قد صار أكثر أهل المدينة مالا. لقد فتحت أمامه الدنيا، ولكن هل شغلته عن عبادة الله تعالى؟!.

هيهات أن تشغله، فهو العابد الزاهد، وهو طالب من طلاب العلم، يحرص على الجلوس مع النبي الكريم والإفادة من علمه.

في ميدان الجهاد

عرف عبد الرحمن بجهاده في سبيل الله، فهو بطل شجاع مغوار، وفي الوقت نفسه كان يعرف كيف يهتبل الفرص في الكر والفرِّ، وكانت له البراعة في الحرب، يعرف كيف يخدع العدو، فهو حكيم في شجاعته.

في غزوة بدر

ولم يترك عبد الرحمن غزوة من غزوات النبيﷺ إلا اشترك فيها. ففي غزوة

---

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع (باب: ما جاء في قول الله تعالى: [فاذا قضيت الصلاة]) حديث ٢٠٤٨ ص٥٣٥.

بدر قاتل قتال الأبطال، وأسر أمية بن خلف وولده عليا، ورأى بلالٌ أمية وكان يعذبه بمكة فقال: رأس الكفر أميةَ بن خلف لا نجوت إن نجا، واستصرخ عليه الأنصار فأعانوه على قتله مع ابنه علي.

وحدثنا عبد الرحمن بن عوف عن شابين من شباب الإسلام كانا واقفين معه في غزوة بدر فقال:

(بَيْنَا أنا وَاقِفٌ في الصَّفِّ يوم بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عن يَمِينِي وشِمالي، فإذا أنا بِغُلَامَيْنِ من الْأَنْصَارِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بين أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فقال: يا عَمِّ هل تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قلت: نعم ما حَاجَتُكَ إليه يا ابن أَخِي، قال: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حتى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخَرُ فقال لي مِثْلَهَا، فلم أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إلى أبي جَهْلٍ يَجُولُ في الناس قلت: ألا إِنَّ هذا صَاحِبُكُمَا الذي سَأَلْتُمَانِي فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حتى قَتَلَاهُ)[1].

وقاتل في هذه الغزوة عمير بن عثمان بن كعب التيمي فقتله.

في غزوة أحد

وقعت غزوة احد في شهر شوال من سنة ثلاثٍ من الهجرة. وكان لعبد الرحمن دور قل نظيره فيها، فقد ثبت مع النبيﷺ ومعه بضعة عشر من

---

(١) رواه البخاري في كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ (بَاب من لم يُخَمِّسْ الْأَسْلَابَ وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ..) رقم ٣١٤١ ص٨٠٤.

المهاجرين والأنصار، فكان يحميه من سهام العدو، وأصيب ببضع وعشرين إصابة، وجرح في رجله جرحاً شديداً ترك أثره في العرج الذي أصابه في حياته، وسقطت ثناياه فصار أهتم.

غزوات اخرى

ولا يظنن أحد أن المسلمين بعد الهجرة النبوية ذاقوا طعم الراحة وعاشوا بأمن وأمان! لا، فإن صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه لم يهتم بأمر كاهتمامه بتبليغ شريعة الله إلى الناس، فكان يرسل السرايا هنا وهناك، ويجهِّز الغزوات: فقاد بنفسه ٢٨ غزوة خلال سبعٍ من السنوات فقط، أما السرايا التي بعثها فكانت سبعاً وأربعين سريةً وننظر إلى عبدِ الرحمن بن عوف، فنراه في الطليعةِ في كل غزوة من الغزوات، فقد شهدَ غزوة بدرٍ وأحد والخندق وبني قريظة وذي قرد والمصطلق والحديبية وقد شهد صلحها وخيبر وفتح مكة وحنين وتبوك...

سرية عبد الرحمن إلى دومة الجندل

كان النبيﷺ حريصاً على نشر دعوة الإسلام في كل مكان، فارسل سرية بقيادة عبدِ الرحمن بن عوف إلى قبيلة كلبٍ يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكانت السرية مؤلفة من سبعمائة رجل. وقبل أن يباشر عبد الرحمن سيره (أقعده النبي بين يديه، ونقض عمامته بيده الكريمة، ثم عممه بعمامة سوداء، وأرخى بين كتفيه منها ثم قال: هكذا فاعتم يا ابن عوف... فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل، ودعا أهلها ثلاثة أيام إلى الإسلام وهم يأبون إلا محاربته. ثم

اسلم الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم الكلبي –وكان نصرانيا– وهو رأس القوم؛ فكتب عبد الرحمن بن عوف بذلك إلى رسول الله ﷺ مع رافع بن مكيث وانه أراد ان يتزوج فيهم، فكتب إليه أن تزوج تماضر ابنة الأصبغ؛ فتزوجها، فهي أول كلبية تزوجها قرشي؛ فولدت له ابا سلمة، وهي أخت النعمان بن المنذر لأمه وأقبل بعدما فرض الجزية على من أقام على دينه)[1].

عبد الرحمن بن عوف ذلك القائد

خاض عبد الرحمن بن عوف المعارك في غزوات النبي ﷺ، وكان يتمتع بقابلية قتالية قلَّ نظيرها، فقتلَ من قتل وأسرَ من أسر، ومن شجاعته قتاله في الصفوف الأمامية فعُدَّ من شجعان المسلمين يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب رحمه الله:

(كان عبد الرحمن بن عوف عارفا بمبادئ الحرب مطبقاً لها، يختار مقصده اختيارا دقيقاً، وكان قائدا تعرضياً، يطبق مبدأ المباغتة على خصمه، ويحرمه من تطبيق هذا المبدأ على رجاله، يحشد قوته قبل المعركة، ويقتصد بالمجهود ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويحرص على أمن رجاله حرصا بغير حدود..)[2].

انفاقه المال في سبيل الله

إذا كانت شجاعة هذا الصحابي على ما ذكرنا، فإن شجاعته في بذل المال في

---

(١) إمتاع الإسماع للمقريزي ص٢٦٧-٢٦٨.

(٢) قادة النبي ﷺ تأليف محمود شيت خطاب ص٢٩٦، الطبعة الثانية ١٤٢٠-١٩٩٩ دار القلم – دمشق، والدار الشامية-بيروت.

سبيل الله لا تقل عن شجاعتهِ في خوض الغزوات والمعارك والأهوال.

إن من طبيعة الإنسان حرصه على جمع المال، والشح به على الناس؛ لذلك قال الله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة الإسراء.

وقال رسول الله ﷺ «**لو أن لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[1].

لكن الإنسان سرعان ما تتغير الأثرة عنده إلى ايثار، ويتخلص من حبِّ المال والشح فيه، ويرغبُ في انفاقه في سبيل الله إذا لامسَ الإيمان شغاف قلبه، واعتقد اعتقاداً جازماً بوجود يوم آخر، يحاسب الله فيه الإنسان على ما قدم من عقيدة وعمل، وهذا لون من الوان الشجاعة لا يصل إليه إلا القليل من الرجال ومنهم هذا الصحابي الجليل، وهذه أمثلة على ذلك:

عن الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطرِ ماله، ثم تصدقَ بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب: ما يتقى من فتنة المال) حديث ٦٤٣٦ ص ١٥٨٤، ومسلم في كتاب الزكاة (باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا، حديث ١٠٤٨، ٢/ ٧٢٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ٣٤٧، والحلية لأبي نعيم ١/ ٩٩

وعن المسور بن مخرمةﷺ قال:

(باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمانَ بأربعين ألفَ دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة، وفقراءِ المسلمين، وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال؛ فقالت: عائشة أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون**» سقا الله ابن عوف من سلسبيل الجنة)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ:

«**خيركم خيركم لأهلي من بعدي. قال: فباع عبد الرحمن بن عوف حديقة باربعمائة الف فقسمها في أزواج النبيﷺ**»[2].

وأوصى عبد الرحمن بن عوف لمن شهد بدرا باربعمائة دينار، فكانوا مائة رجل[3].

تدل هذه الروايات -وغيرها كثير- على الروح العالية التي كان يتمتع بها هذا الصحابي: فقد أنفق ما أنفق من ماله في عهد رسول اللهﷺ وبعد مماته -أيضاً- ولم ينسَ أزواجَ النبي، فكان يُغدق المال عليهن بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه، ولم ينسَ -أيضاً- إخوانه ممن شهدوا غزوة بدرٍ فكان يصِلُهم،

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٩٨-٩٩.

(٢) أخرجه ابن ابي عاصم في السنة ٢/ ٦١٦ تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني حديث ١٤١٤، الطبعة الأولى،١٤٠٠، المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) التاريخ الكبير للإمام البخاري ١/ ١٦٧، حديث ٤٩٩، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، لبنان.

ونعم المال الصالح للرجل الصالح.!)[1]

عبد الرحمن بن عوف بعد موت النبي ﷺ

وظل عبد الرحمن بن عوف ذلك الجندي المؤمن المخلص من جنود الإسلام، متعاوناً مع الخلفاء الذين جاءوا من بعد النبي الكريم، ومسدياً بالنصائح لهم؛، وقد اراد عمر بن الخطاب ان يخرج بنفسه ليقود الجيش في بعض المعارك، فما كان من عبد الرحمن إلا أن قدَّم له النصيحة فقال له:

(يا أمير المؤمنين، فُديتَ بأبي وأمي، أقم وابعث؛ فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك)[2].

وتأمل عمر في كلام عبد الرحمن فرآه كلام ناصحٍ أمين فاستجاب له ودعا له وأكبر فيه نصيحته.

ولما طعن عمر بن الخطاب من المجوسي أبي لؤلؤة وهو يصلي بالناس صلاة الصبح تناول يدَ عبد الرحمن فقدَّمه للصلاة فصلى بهم صلاة خفيفة.

عبد الرحمن يتولى تنصيب خليفة

بعد أن طعن عمر بن الخطاب ﷺ من المجوسي أبي لؤلؤة فيروز وأحسَّ بدنو أجله جعل الأمر بعده في ستة نفر هم: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف. كانت مهمة اختيار خليفة للمسلمين صعبة وشاقة، وكيف لا تكون كذلك

---

(١) عن كتابنا رقائق إيمانية ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٤/ ١٦١، تأليف عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الأولى دار صادر بيروت.

ومستقبل المسلمين يتوقف عليه! وكان عبد الرحمن أهلاً للقيام بهذه المهمة فقام بها خير قيام، فأكثر من استشارة الناس سراً وعلانية، واستشار حتى النساء والولدان في الكتاتيب... واجتمع المسلمون في المسجد، وأخذ عبد الرحمن من عثمان وعلي إن ولاه الله ليعدلن، وإن ولِّي عليه ليسمعن.. (واجتمع الناس في المسجد فقال عبد الرحمن: قم إليَّ يا علي فقام اليه، فأخذ عبد الرحمن بيده وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم: لا، ولكن جهدي من ذلك وطاقتي؛ فأرسل يده وقال: قم إليَّ يا عثمان، فأخذ بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيهﷺ وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، فقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، الله اسمع واشهد، اللهم إني قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، واقبل الناس يبايعون عثمان، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ، وأجلس عثمان على الدرجة التي تليها. وهكذا أقبل المسلمون على مبايعة عثمان، وكان علي ثاني من بايعه، بعد عبد الرحمن بن عوف)[1].

منزلة الصحابة الأوائل وعبد الرحمن منهم

للصحابة منزلة عظيمة عند الله تعالى، ويكفيهم ثناء الله عليهم في القران الكريم وثناء رسول الله ﷺ أيضا. فمن ثناء الله تعالى عليهم قوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

(١) في صحبة الخلفاء الراشدين لكاتب هذه السطور ص ٩٦-٩٧، الطبعة الأولى ١٤٣٢-٢٠١١، مطبعة انوار دجلة بغداد.

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة التوبة.

اما الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فله أحاديثه الكثيرة في ثنائه على صحابته، ومن ذلك قوله:

«**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[1].

ونهى صلوات الله وسلامه عليه عن الإساءة لواحدٍ من الصحابة فقال:

«**لا تسبوا أصحابي فلو أن احدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[2].

وقد قال النبي ﷺ هذا الحديث لما وقع شيء بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف، فسبَّ خالد عبدَ الرحمن، وعلم النبي بذلك فأنكر على خالد؛ ذلك لأن عبد الرحمن من السابقين الأولين إلى الإسلام، أما خالد فقد تأخر إسلامه، فكان النبي يعرف للسابقين فضلهم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل اصحاب النبيﷺ (باب: فضل اصحاب النبيﷺ حديث ٣٦٥٠، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم) حديث ٢٥٣٥ وغيرهما.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل اصحاب النبيﷺ، حديث ٣٦٧٣، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب: تحريم سب الصحابة) حديث ٢٥٤١ وغيرهما.

من فضائل عبد الرحمن بن عوفﷺ

فضائل عبد الرحمن بن عوف كثيرة ، لا يتسع المجال لتعدادها، وأكتفي بذكر شيء منها:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«**خيركم خيركم لأهلي من بعدي**» قال: فباع عبد الرحمن حديقة باربعمائة الف فقسَّمها في أزواج النبيﷺ[١].

٢- عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: تخلف رسول اللهﷺ وتخلفت معه، فلما قضى حاجته قال: «**أمعك ماء**» فأتيته بمطهرة، فغسل كفيه ووجهه... فانتهينا إلى القوم وقد قاموا في الصلاة يصلي بهم عبد الرحمن بن عوف وقد ركع بهم ركعة. فلما أحس بالنبي ﷺ ذهب يتأخر، فأومأ اليه فصلى بهم. فلما سلَّم قام النبي ﷺوقمت؛ فركعنا الركعة التي سبقتنا[٢].

وجاء في رواية ابن سعد:

وقال النبيﷺ حين صلى خلف عبد الرحمن بن عوف: «ما قبض نبي قط

---

(١) رواه ابن ابي عاصم في كتاب السنة حديث ١٤١٤، والحاكم في المستدرك، حديث ٥٣٥٩ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه مسلم في كتاب الطهارة (باب: المسح على الناصية والعمامة) حديث ٢٧٤، ١/ ٢٣٠-٢٣١.

حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته»[1].

٣- (عن سَعْدِ بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أَنَّ عَبْدَ الرحمن بن عَوْفٍ أُتِيَ بِطَعَامٍ وكان صَائِمًا فقال: قُتِلَ مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ وهو خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ في بُرْدَةٍ: إن غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ -وَأُرَاهُ قال- وَقُتِلَ حَمْزَةُ وهو خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لنا من الدُّنْيَا ما بُسِطَ- أو قال- أُعْطِينَا من الدُّنْيَا ما أُعْطِينَا، وقد خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لنا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حتى تَرَكَ الطَّعَامَ)[2].

٤- قال الكلبي: نزل قول الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾** ﴾ سورة البقرة.

نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف: أما عبد الرحمن بن عوف، فإنه جاء إلى رسول الله ﷺ باربعة الآف درهم صدقة فقال: كان عندي ثمانية الآف درهم، فامسكت منها لنفسي وعيالي أربعة الآف درهم، واربعة الآف درهم أقرضتها ربي. فقال رسول اللهﷺ: «**بارك الله لك فيما امسكت، وفيما اعطيت**»[3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٢٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: غزوة أحد)، حديث ٤٠٤٥ ص١٠١٧.

(٣) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٨١.

٥- (قال المسور بن مخرمة: بينما أنا أسير في ركب بين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الرحمن قدامي عليه خميصة سوداء؛ فقال عثمان: من صاحب الخميصة السوداء؟ قالوا عبد الرحمن بن عوف، فناداني عثمان: يا مسور، فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: من زعم أنه خير من خالك في الهجرة الأولى وفي الهجرة الثانية الآخرة فقد كذب)[1].

التاجر الناجح الصادق

اشتغل عبد الرحمن منذ شبابه بالتجارة وكان ناجحاً كل النجاح وصادقاً كل الصدق فيها منذ أن مارسها إلى أن انتقل إلى جوار ربه يتحرى الحلال، وينأى عن الحرام، وحتى عن الشبهات، ويرضى بالقليل من الربح، ممتثلا حديث النبيﷺ ودعاءه لمن كان سمحاً في البيع والشراء فقد قال:

«**رحم الله رجلا سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**»[2].

وقد باع مرة اعدادا كثيرة من الإبل وربحه فيها عقال كل واحد من الإبل، والعقال هو الحبل الصغير الذي يعقل به الواحد من الإبل..! وهكذا تكون السماحة في البيع؛ فبارك الله في تجارته.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد٣/ ١٢٥، طبعة دار صادر ١٤٠٥-١٩٨٥، بيروت.

(٢) رواه البخاري في كتاب البيوع (باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع) حديث ٢٠٧٦ ص٥٤١.

احاديثه

روى عن النبي ﷺ خمسة وستين حديثا[1]. ومن الأحاديث التي رواها عبد الرحمن بن عوف وترتب عليها حكم فقهي مهم:

١- أخذ الجزية من المجوس، فإن عمر بن الخطاب ﷺ لم يكن يأخذ الجزية منهم حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر.[2].

٢- روى البخاري أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام، فلما كان بسرغ[3] بلغه أن الوباء قد وقع بالشام؛ فأخبره عبد الرحمن بن عوف: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه**»[4].

وفاته

وبعد تلك الصفحة الوضاءة الممتلئة إيماناً وجهاداً ودعوةً إلى الله وإنفاقاً للمالِ في سبيل الله... أتاه الأمر الذي لا مرد له، فمرض مرضه الذي توفي فيه. وسمعت أم المؤمنين عائشة بذلك فأرسلت مقترحة عليه أن يدفن بحجرتها مع

---

(١) اسماء الصحابة الرواة لابن حزم الأندلسي ص٧٢، وسير أعلام النبلاء ١/ ٦٩.

(٢) رواه البخاري رقم ٣١٥٦، وابو داؤد ٣٠٤٣.

(٣) سرغ: منطقة تقع في أول الحجاز وآخر الشام... بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٢١١-٢١٢، دار صادر.

(٤) رواه البخاري في كتاب الطب (باب: ما يذكر في الطاعون) حديث ٥٧٢٩ ص ١٤٤٩.

رسول اللهﷺ وأبي بكر وعمر؛ فأجابها: ما كنت مضيقاً عليكِ بيتكِ؛ إني كنت عاهدت عثمان بن مظعون: أيُنا مات دفن إلى جنب صاحبه.. ثم أسلم الروح إلى ربها؛ فصلى عليه عثمان بن عفان، -وكان قد أوصى بذلك- ودفن بالبقيع، وكان في التشييع أصحاب رسول اللهﷺ ومنهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص. وقد كانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة.

رضي الله عنك يا صاحب رسول الله، وهنيئا لك الجنة!.

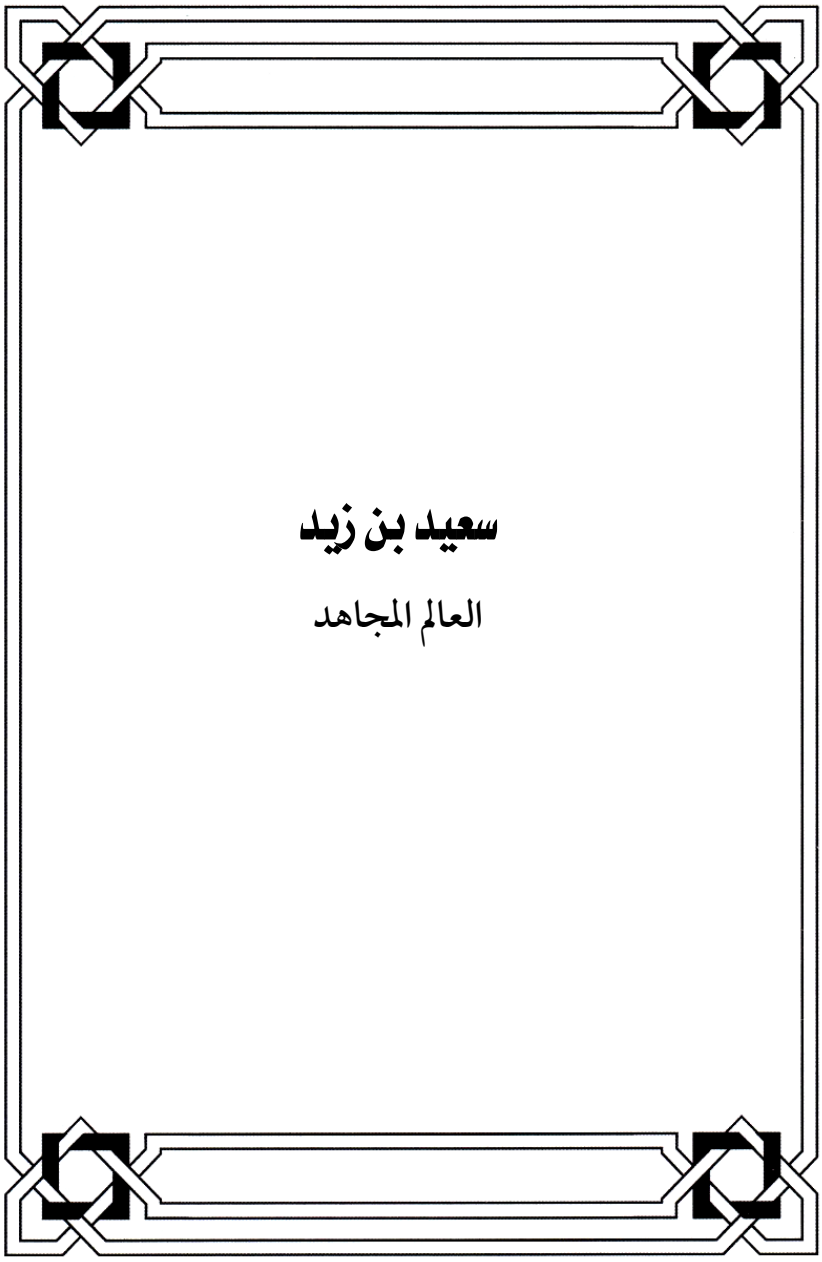

سعيد بن زيد

العالم المجاهد

سعيد بن زيد

كتب كتَّاب السير بحوثا عن العشرة المبشرين بالجنة، ولم ينل سعيد بن زيد في الكتابة عنه ما ناله بقية العشرة ﷺ اجمعين، مع أنه أسلم في فجر البعثة النبوية، وتحمل الشيء الكثير في سبيل هذا الدين كما تحمَّل بقية العشرة، وكانت له جهوده وبطولاته في المعارك التي خاضها النبيﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين، وامتد به العمر إلى سنة احدى أو اثنتين وخمسين من الهجرة. وهذه نبذة مختصرة عن هذا الصحابي الذي ضرب أروع الأمثلة في الشجاعة والبطولة والزهد والكرم والإيثار.

اسمه ونسبه

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، يجتمع نسبه مع رسول اللهﷺ في كعب ابن لؤي، وينسب إلى عدي بن كعب فيقال: القرشي العدوي، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره، فتزوج سعيد من فاطمة بنت الخطاب –اخت عمر ابن الخطاب– وتزوج عمر من عاتكة بنت زيد –اخت سعيد بن زيد–.

ولد سعيد بن زيد سنة اثنتين وعشرين قبل الهجرة، وكان أبوه موحدا على بقايا من دين سيدنا إبراهيم، فلا يأكل الميتة ولا التي تذبح للأصنام والأوثان. فما أن بعث الله محمداً ﷺ رسولا إلى الناس حتى سارع سعيد إلى الإيمان بالإسلام، وعمره لا يتجاوز عشرين السنة إذ ذاك. وربما كانت نفسيته مهيأة لقبول دعوة الإسلام بما كان يسمعه من أبيه عن التوحيد الذي جاء به سيدنا إبراهيم عليه السلام من ربه.

نشأ سعيد متميزا برجاحة العقل، وبعد النظر، وحسن التصرف، فكان يُستشار في عظائم الأمور ومهمات القضايا.

والد سعيد

يبدو أن والد سعيد كان ذا عقل راجح وفكر مستنير فكان يعملُ عقله فيما يجري أمامه، فلا يقلد الآباء والأجداد بعبادة الأصنام والأوثان كما كان عليه الناس. فقد نشأ في قوم هذه عباداتهم، وتأمل فيها فخالفهم، وكان ينكر عليهم تلك العبادة الباطلة، فقد أيقن تمام اليقين أن هذه الأصنام ليست بآلهة ولا تستحق العبادة؛ فلم يعبد شيئا منها، وكان ينكر على من يذبح على غير اسم الله فيقول:

(الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكارا لذلك وإعظاما له)[1].

ولم يكتف بهذا بل أعلن على الملأ أن الناس ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام، تقول أسماء:

(رأيت زيد بن عمرو بن نفيل ، مسندا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري)[2]. وكان يحيي الموؤدة يقول

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل) حديث ٣٨٢٦، ص ٩٦٣.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة للمحب الطبري ٤/ ٣٣٨. وسير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ١/ ١٢٨.

للرجل إذا أراد ان يقتل ابنته: مهلا لا تقتلها، أنا اكفيك مؤونتها فيأخذها، فاذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤونتها[1].

وهكذا اعتنق الرجل عقيدة التوحيد قبل ان تشرق شمس الإسلام على الوجود، فقد مات قبيل البعثة النبوية، وكان ينتظر أن يبعث الله نبيا من ولد اسماعيل، يصحح للناس عقيدتهم، وأوصى صاحبه عامر بن ربيعة بهذه الوصية:

(يا عامر إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد وإسماعيل من بعده، وكانوا يُصلون إلى هذه القبلة، فأنا أنتظر نبياً من ولد إسماعيل يبعث ولا أراني أدركه، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام، قال عامر: فلما تنبأ رسول الله ﷺ أسلمت وأخبرته بقول زيد بن عمرو وأقرأته منه السلام، فرد عليه رسول الله ﷺ ورحم عليه وقال: قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً)[2].

ومات زيد..

مات زيد وقريش تقوم ببناء الكعبة، وذلك قبل أن ينزل الوحي على النبيﷺ بخمس سنين، وكان يقول: إنه على دين إبراهيم عليه السلام. وذكر الواحدي أن قول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٣٨١، طبع سنة ١٤٠٥-١٩٨٥، دار صادر بيروت، وسير أعلام النبلاء ١/ ١٢٨.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٣٧٩.

عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الزمر. نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله وهم: زيد بن عمرو، وأبو ذر الغِفاري، وسلمان الفارسي[1].

ولكن كيف مات زيد؟

بينا كان في طريق عودته إلى مكة، خرج عليه من قتله قبل أن يبلغ مكة فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: اللهم إن كنت حرمتني من هذا الخير، فلا تحرم منه ابني سعيدا!.

واستجاب الله دعوة زيد، فما أن بعث الله محمدا ﷺ رسولا إلى الناس كافة، حتى آمن به ولده سعيد، وانخرط في دعوته إلى الإسلام، وصار من صحابته.

إسلامه

اسلم سعيد وزوجته فاطمة في السنة الأولى لبعثة النبي ﷺ قبل أن يدخل دار الأرقم. وكان اسلامه قبل إسلام عمر، وكان اسلام فاطمة زوجة سعيد سبباً في اسلام عمر[2]. فهو من السابقين الأولين المؤمنين برسالة محمدﷺ، وقد حسن إسلامه، فصار من صفوة الصحابة، وشهد له النبي ﷺ أنه من المبشرين

---

(١) اسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٨٨.

(٢) كان خباب بن الأرت يتردد إلى منزل سعيد ليعلمه ويعلم زوجه فاطمة شيئا من كتاب الله ومن مبادئ الإسلام. وبلغ عمر أن اخته فاطمة وزوجها آمنا بنبوة محمد ﷺ، فانطلق اليهما، وكان خباب يقرئهما سورة طه، فلما وصل الدار اختبأ خباب، فبطش عمر بصهره، ثم لطم اخته لما ارادت ابعاده عن زوجها سعيد؛ فسال الدم على وجهها. ولما أراد ان يقرأ الصحيفة التي كانا يقرآن فيها قالت له اخته: إنك مشرك فاذهب وتطهر، فلما فعل ذلك وقرأ ما في الصحيفة قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، وذهب إلى النبي ﷺ وأعلن إسلامه بين يديه.

بالجنة[1]. ومات النبي الكريم ﷺ وهو عنه راض، ففاز بمحبة النبي له، وصار من المقربين منه. ولم يتركه المشركون يعتقد عقيدة التوحيد فاضطهدوه، وأصابه بسبب إسلامه أذى كثير، وممن آذاه عمر بن الخطاب قبل أن يسلم. يقول سعيد ابن زيد:

(والله لقد رأيتني، وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم، ولو أن أحدا ارفضَّ للذي صنعتم بعثمان لكان محقوقا أن يرفضَّ)[2].

وفي هذا الحديث فضيلة من فضائل سعيد بن زيد، فقد تحمل العذاب في سبيل الإسلام، وظل ثابتا عليه. ويفيد الحديث -ايضا- أن القبائل لو تحركت وطلبت بثأر عثمان، لكان أهلا لذلك.

سعيد المهاجر

ولما أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة سارع سعيد بالهجرة اليها، وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي بن كعب رضي الله عنهما، وقيل: بل آخى بينه وبين رافع

---

(١) المبشرون بالجنة كثيرون وليسوا بمحصورين بهؤلاء العشرة، وقد سمي العشرة المبشرون بالجنة بهذا لأنهم جمعوا في حديث واحد فقال النبي ﷺ: «**أبو بَكْرٍ في الْجَنَّةِ وَعُمَرُ في الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ في الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ في الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ في الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ في الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الْجَنَّةِ وَسَعْدٌ في الْجَنَّةِ وَسَعِيدٌ في الْجَنَّةِ وأبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ في الْجَنَّةِ**» رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب: مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله) حديث ٣٧٤٧ ص ٨٥١.

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب: إسلام سعيد بن زيد) حديث ٣٨٦٢ ص ٩٧١.

ابن مالك الزرقي. وعاش سعيد مع النبي ﷺ في المدينة، وكان حريصاً على سلامة النبي الكريم، فيقوم خلفه، ويتحول إلى يمينهِ وشمالهِ خشية أن ينالهُ مكروه.

سعيد المجاهد

وحين أذن الله للمسلمين بالجهاد، كان سعيد ممن اشترك في غزوات النبيﷺ كلها إلا ما كان من غزوة بدر، فقد أرسله نبي الله في مهمة استطلاعية مع طلحة بن عبيد الله ليتحسسا أخبار قافلة قريش التي كان يقودها ابو سفيان. وقد رجعا الى المدينة ليخبرا النبي عنها وكان وصولهما المدينة في اليوم نفسه الذي وقعت فيه معركة بدر، فلم يقدّر لهما ان يشهدا القتال. ومع هذا فقد ضرب النبي الكريم لكل واحد منهما بسهم من غنائم بدر.

أجل.. لقد اشترك سعيد في غزوات النبي كلها إلا غزوة بدر، وكان له دور مهم في تلك الغزوات. ففي غزوة بني قريظة كان ممن حاصر اليهود خمسا وعشرين ليلة مع جيش الصحابة إلى أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكان حكمه: أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، ودعا النبيُّ سعيداً أن يذهب بسبايا بني قريظة إلى نجد، يشتري بهم خيلاً وسلاحاً من أجل القوة الحربية للمسلمين ففعل.

سعيد بعد أن انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه

وظل سعيد بعد موت النبي ﷺ ذلك الجندي المخلص، فأرسله أبو بكر الصديق ﷺ في محاربة المرتدين، وكان له دور كبير في معارك اليرموك وفتح بلاد

الشام، فكان له موقفه الشجاع في تقويض ملك كسرى وقيصر. ففي يوم (أجنادين) نظر سعيد إلى الروم فرآهم قد أكثروا من رمي المسلمين بالنشاب، فصاح بخالد بن الوليد قائلاً (علام نستهدف لهؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست الخيل؟!) وهنا أمر خالد بهجومه المظفر على الروم، وصبروا على ما أصابهم من الرشق بالنبال، وانتصروا ذلك النصر المبين، أما الروم فقد انهزموا هزيمة منكرة وفروا لا يلوون على شيء.

لقد أبلى سعيد بن زيد بلاءا حسنا في معركة اليرموك، وأظهر بطولات قل نظيرها. ولندع هذا الصحابي الجليل سعيدا يروي لنا ما كان من أمره في اليرموك فيقول:

(لما كان يوم اليرموك كنا اربعا وعشرين الفا أو نحوا من ذلك، فخرجت لنا الروم بعشرين ومائة الف، وأقبلوا علينا بخطىً ثقيلة كأنهم الجبال تحركها أيدٍ خفية، وسار أمامهم الأساقفة والبطارقة والقسيسون يحملون الصلبان وهم يجهرون بالصلوات فيرددها الجيش من ورائهم وله هزيم[1] كهزيم الرعد، فلما رآهم المسلمون على حالهم هذه، هالتهم كثرتهم، وخالط قلوبهم شيء من خوفهم، عند ذاك قام أبو عبيدة بن الجراح يحض المسلمين على القتال، فقال:

عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، عباد الله اصبروا فإن الصبر

(١) الهزيم: صوت الرعد.

منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة[1] للعار وأشرعوا[2] الرماح واستتروا بالتروس والزموا الصمت إلا من ذكر الله ﷻ في انفسكم، حتى آمركم ان شاء الله.

قال سعيد:

عند ذلك، خرج رجل من صفوف المسلمين وقال لأبي عبيدة:

إني ازمعت[3] على أن اقضيَ أمري الساعة[4]، فهل لك من رسالة تبعث بها إلى رسول اللهﷺ ؟! فقال أبو عبيدة: نعم، تقرئه مني ومن المسلمين السلام، وتقول له:

يا رسول الله، إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا.

قال سعيد فما إن سمعت كلامه، ورأيته يمتشق حسامه[5] ويمضي إلى لقاء أعداء الله، حتى اقتحمت[6] إلى الأرض، وجثوت على ركبتي، وأشرعت رمحي وطعنت أول فارس أقبل علينا، ثم وثبت على العدو وقد انتزع الله كل ما في

---

(١) مدحضة: للعار دافع للعار.

(٢) اشرعوا الرماح: سددوها وصوبوها.

(٣) ازمعت: عزمت.

(٤) أن أقضي امري الساعة: أن أموت في هذه الساعة

(٥) يمتشق حسامه: يستل حسامه.

(٦) اقتحمت إلى الأرض: رميت نفسي بشدة على الأرض.

قلبي من الخوف فثار الناس في وجوه الروم، وما زالوا يقاتلونهم حتى كتب الله للمؤمنين النصر[1].

وقال حبيب بن سلمة:

(اضطررنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد، فلله درُّ سعيد! ما سعيد يومئذ إلا مثل الأسد، لما نظر إلى الروم وخافها، اقتحم إلى الأرض وجثا على ركبتيه، حتى إذا دنوا منه وثب في وجوههم مثل الليث، فطعن أول رجل من القوم فقتله، وأخذ –والله– يقاتل راجلا– قتال الشجاع البأس– فارساً، ويعطفُ الناس إليه)[2].

زهده

إذا اراد أحد أن يعرف كيف يكون الزهد نظر في سيرة سعيد بن زيد فقد كان زاهدا في المنصب وزاهدا في المال. وبقي يجاهد في سبيل الله بعيدا عن الأضواء فهو الجندي المجهول بحق، لم يطمح إلى منصب ولا إلى ولاية، وكان همه الذي يشغل باله الجهاد في سبيل الله لعلّ الله تعالى يحقق له الشهادة في سبيله، وبعد أن فتحت دمشق ولاه أبو عبيدة ولايتها، فكان أول والٍ لها. ولكن هل كان سعيد يرغب بالولاية؟

---

(١) صور من حياة الصحابة، تاليف الدكتور: عبد الرحمن رأفت الباشا، ص٢٤٢-٢٤٣، ١٤٢٥-٢٠٠٥. مطبعة انوار دجلة – بغداد.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١/ ٥٤١، والأزدي ٢٢٦.

إن سعيدا كان همه الجهاد في سبيل الله، فماذا يصنع بالولاية؟؛ لذلك كتب كتابا إلى ابي عبيدة طلب منه أن يعفيه من ولاية دمشق جاء فيه. سلام عليك! فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو. أما بعد.. فإني ما كنت لاوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يدنيني من مرضاة ربي، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلى عملك من هو راغب فيه، فاني قادم عليك وشيكاً سريعاً إن شاء الله تعالى والسلام عليك.

أما زهده في المال، فكان يأخذ نصيبه من الغنائم والأنفال وكان كثيرا ما يوزعه على الفقراء وإن كان هو بحاجة اليه؛ لأنه يعلم أن ما عند الله خير وأبقى.

سعيد والصحابة

عرف سعيد من مجالسته النبيﷺ مكانة الصحابة.. أولئك الذين فتحوا البلاد، وكانوا سببا في دخول الأمم هذا الدين، وهم الذين بلغوا عن النبيﷺ الشريعة الإسلامية، ويكفيهم أنهم فازوا بشرف الصحبة، وتمثل بهم الإيمان في صورة من أجمل الصور، وتخلقوا بكل خلق نبيل، وتأدبوا بكل أدب لباب، وكانوا أمامه في القتال وخلفه في الصلاة لذلك نجد سعيدا يغضب وينتفض إذا ذكر واحد من الصحابة أمامه بسوء، مبينا أن أقل عمل عمله واحد من الصحابة مع النبيﷺ لا يعدله عمل غيرهم ولو عمّر طويلا كعُمُرِ نوح عليه السلام، فقال منكراً على من ذكر واحداً من الصحابة بسوء:

(والله لمشهد شهده رجل يغبِّر فيه وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل

أحدكم ولو عمِّر عُمُرَ نوح عليه السلام[1].

سعيد صاحب الدعاء المستجاب

بين لنا النبي ﷺ أن الله تعالى يستجيب دعاء عدد من الأصناف، ومن هؤلاء من يقع عليه الظلم حتى لو كان غير مسلم، فكيف إذا كان المظلوم واحدا من صحابة النبيﷺ؟ ولقد وقع الظلم على سعيدٍ من امرأة تُدعى أروى بنت اويس. فعن هشام بن عروة عن أبيه:

(أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ على سَعِيدِ بن زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شيئا من أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إلى مَرْوَانَ بن الْحَكَمِ، فقال سَعِيدٌ: أنا كنت آخُذُ من أَرْضِهَا شيئا بَعْدَ الذي سمعت من رسول اللهِ ﷺ؟! قال: وما سَمِعْتَ من رسول اللهِ ﷺ؟ قال: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**من أَخَذَ شِبْرًا من الأرض ظُلْمًا طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ**» فقال له مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هذا؛ فقال: اللهم إن كانت كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا في أَرْضِهَا. قال فما مَاتَتْ حتى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي في أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ)[2].

روايته للحديث

روى عن النبيﷺ ثمانية وأربعين حديثا[3]، اتفق البخاري ومسلم على

---

(١) رواه الإمام احمد برقم ١٩٢٦، المسند ٢/ ٢٨٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب المساقاة (باب: تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها)، حديث١٦١٠، ٣/ ١٢٣١.

(٣) اسماء الصحابة الرواة لابن حزم الأندلسي ص٧٨ بتحقيق: سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١٢-١٩٩٢، دار الكتب العلمية- بيروت.

حديثين، وانفرد البخاري بثالث[1] ومما رواه حديث النبي ﷺ:

«**من أخذ شبرا من الأرض ظلما، فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين**»[2].

وقوله:

«**إن من اربى الربا الإستطالة في عرض المسلم بغير حق**»[3].

وقوله:

«**الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين**»[4].

وفاته

كان سعيد كثير الحب لرسول الله ﷺ؛ لذلك عزم على جوار مسجد النبيﷺ ليكون قريبا من قبر النبي الكريم، فبنى له دارا بالعقيق من نواحي المدينة.

وتمضي الأيام، وينتقل سعيد إلى جوار ربه راضيا مرضيا في السنة الحادية والخمسين أو الثانية والخمسين من الهجرة وعمره -إذ ذاك- بضعٌ وسبعون سنة. وسمع عبد الله بن عمر بالنبأ فاسرع الخطا إلى داره، وكان ضحى يوم الجمعة، وتقاطر الصحابة على داره، فغسله سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر، وحُمل على رقاب الرجال، وصلى عليه ابن عمر، وانزله مع سعد في قبره

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٥ و١/ ١٤٣.

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان حديث ١٠٣٨ ص ٣٢٥، دار الحديث، القاهرة.

(٣) رواه ابو داؤد حديث ٤٨٧٦، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٤٣٣-١٨٧١.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٤٧٨، ومسلم برقم ٢٠٤٩.

في البقيع، وحضر الصلاة عليه كثير من صحابة النبيﷺ.

رضي الله عن سعيد بن زيد (فكان بالحق قوّالا، ولمالِهِ بذّالا، ولهواه قامعاً وقتّالاً، ولم يكن ممن يخاف في الله لومة لائم.. رغب عن الولاية قالياً، وفي مراتب الدنيا وانيا، وفي العبودية غانياً، وعن مساعدة نفسه فانيا)[1].

اللهم ارزقنا إيمانا كإيمان سعيد بن زيد، واجمعنا به وبصحابة نبيك في دار الخلود في الجنة.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٩٥، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

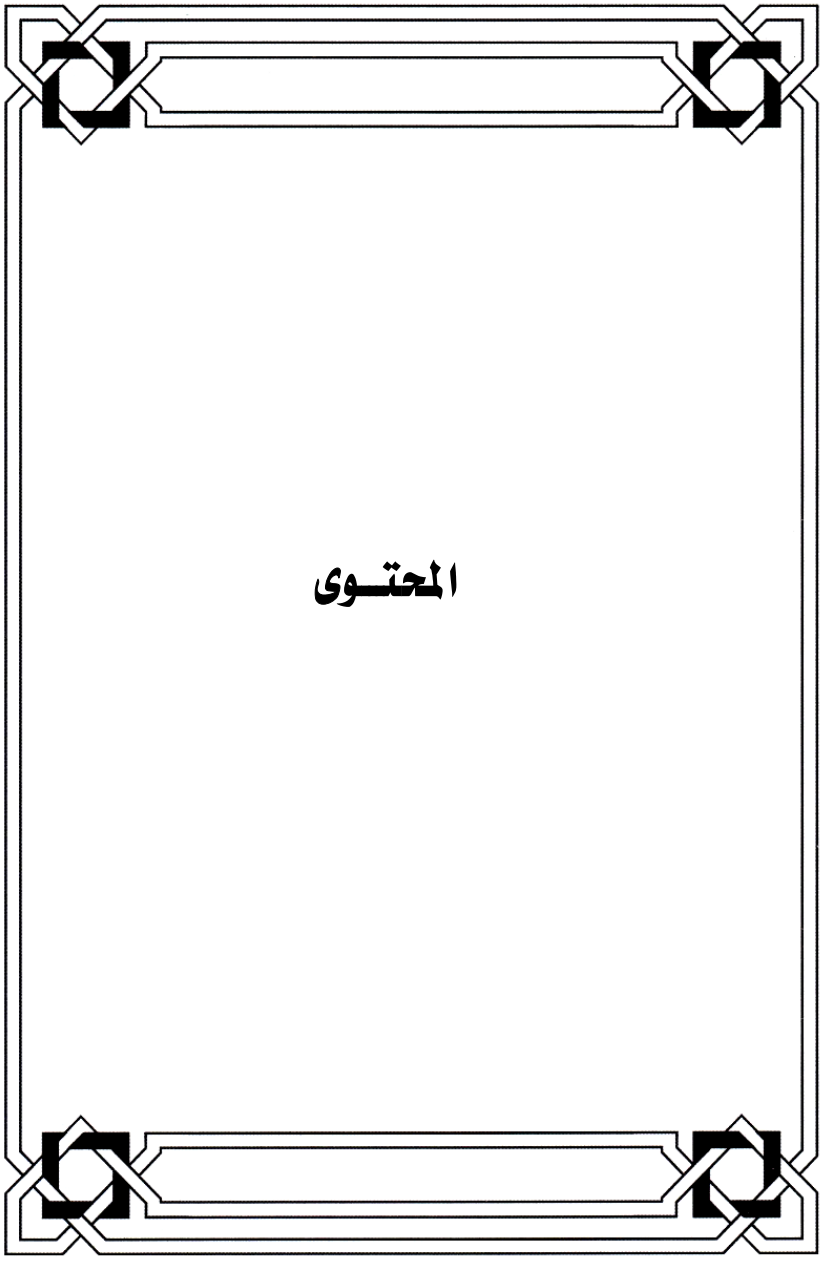

المحتـوى

المحتــوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥-١٢
الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ اسلامه- حب الزبير للنبي ﷺ- هجرة الزبير إلى الحبشة – في غزوة بدر- في غزوة أحد – في غزوة الخندق – في غزوة اليرموك – فتح حصن بابليون - الزبير يسمي أولاده بأسماء الشهداء من الصحابة- قلة رواية الزبير لأحاديث النبي ﷺ- شاعر النبي يمدح الزبير- استشهاد الزبير.	١٣-٣٥
طلحة بن عبيد الله الشهيد الحي عمله بالتجارة- إسلامه- ما أصاب طلحة من الأذى وهجرته إلى المدينة-في غزوة بدر- في غزوة أُحد- إنفاقه المال في سبيل الله- النبي ﷺ يبشر طلحة بالشهادة - طلحة بعد وفاة النبي ﷺ- طلحة من أهل الجنة- كيف استشهد طلحة-حفظ الله له بعد موته- وبعد.	٣٧-٥٤
سعد بن أبي وقاص فارس الإسلام إسلامه- الفقر الذي أصاب المسلمين في مكة-اراق سعد أول دم في الإسلام-بين سعد وأمه-سعد وتحريم الخمر- سعد يهاجر إلى المدينة- في غزوة بدر- في غزوة أحد- في غزوة الخندق- سعد بعد وفاة النبي ﷺ- النبي يفخر بسعد- دعاء سعد- سعد يعتزل الفتنة- وفاة سعد.	٥٥-٧٣

أبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة شخصية أبي عبيدة- **إسلامه**- ملامح من جهاده وسيرته- في غزوة بدر- في غزوة أحد- سرية ذات السلاسل- في غزوة سيف البحر أو غزوة الخبط- أبو عبيدة بعد انتقال النبيﷺ إلى جوار ربه- أبو عبيدة وفتح بلاد الشام- عمر يعزل خالدا ويولي أبا عبيدة- زهده- دعوته الناس لطاعة الله- من فضائل أبي عبيدة- مع الخالدين.	٧٥-٩٥
عبد الرحمن بن عوف الصادق البار و الأمين في أهل الأرض والسماء اسمه ونسبه- إسلامه- هجرته إلى المدينة- في ميدان الجهاد- في غزوة بدر- في غزوة أحد- غزوات اخرى- سرية عبد الرحمن إلى دومة الجندل- عبد الرحمن بن عوف ذلك القائد- انفاقه المال في سبيل الله- عبد الرحمن بن عوف بعد موت النبي ﷺ- عبد الرحمن يتولى تنصيب خليفة- منزلة الصحابة الأوائل وعبد الرحمن منهم- من فضائل عبد الرحمن بن عوفﷺ- التاجر الناجح الصادق- احاديثه- وفاته.	٩٧-١١٥
سعيد بن زيد اسمه ونسبه- والد سعيد- ومات زيد- ولكن كيف مات زيد؟- إسلامه- سعيد المهاجر- سعيد المجاهد- سعيد بعد أن انتقل النبي ﷺ إلى جوار ربه- زهده- سعيد والصحابة- سعيد صاحب الدعاء المستجاب- روايته للحديث- وفاته.	١١٧-١٣١